



المعيزات الرقمية

ALTINOLOK

مجلة فصلية - العدد ٤٦ (أيار - آب ٢٠٢٥)



لا تنخدع باللعبة
التظهر في العالم
الرقمي



أيها الأخوة القراء:

لم تعد التكنولوجيا والمجتمع شيئين منفصلين. بل أصبح لدينا الآن ما يسمى بـ "المجتمع التكنولوجي". فكيف يمكننا فهم هذا المفهوم؟ الأمر بسيط: جميع الديناميكيات الحالية التي تُشكّل المجتمع أصبحت بشكل أو بآخر على ارتباط وثيق مع الأجهزة التكنولوجية. نحن نلجأ إلى هذه الأجهزة عند التعبير عن مشاعرنا، سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي، ابتداءً من الأسرة وحتى أوسع نطاق في المجتمع. ولم نعد نستطيع تجنب هذا الأمر.

وبالتالي، فإن التحول يحدث بالفعل. ولكن سرعة هذا التحول تجعله غامضاً، فنحن نعيش هذا التغير الحاد دون أن ندركه. وعندما نتمكن من إدراكه، يُصيّنا الذعر، فنحاول إيقاف هذا الانحدار، أو على الأقل إبطاءه. وبسبب التجذر العميق للمشكلة، فإننا نتجه بشكل طبيعي نحو حلول جذرية أيضاً. ولهذا بدأت العديد من البيانات والنداءات تظهر في العالم ضد هذه الثقافة التقنية. فالبعض يلجأ إلى الطبيعة، والبعض الآخر يتمسك بما هو طبيعي. ومن هنا، يمكن تفسير الارتفاع الملحوظ في التوجهات الروحية على المستوى العالمي. فالإنسان عندما يشعر بأنه بات مجرد آلة، يبدأ في إدراك أنه لا يمكن اختزاله إلى هذا الحد. وفي نهاية المطاف، نجد أنفسنا وقد بتنا ضحايا لهذه التكنولوجيا القائمة على الشاشات، والتي تعمل على تفريغ علاقتنا بالمعرفة، والواقع، والحكمة، وحتى العبادة، من معانيها العميقة، وتجعلها تتجه نحو الأرقام والتعبيرات الظاهرية التي تحفز الاستعراض والمبالغة. ومن يستطيع إنكار أن هذا التحول يبدو أكثر إثارة للقلق من كونه أمراً مشجعاً؟ ذلك لأن التكنولوجيا تتسلل إلى حياتنا من خلال الابتكار والمرونة التي تجعلها عرضة للانحراف إلى مجالات غير مرغوبة في أي لحظة.

كلمة التحرير



المحتويات

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل أربعة أشهر

العدد السادس والأربعون
(أيار - آب ٢٠٢٥)

رئيس التحرير

بيت الله ديمرجي أوغلو

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت الله ديمرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزدмир

د. مراد قايما

لقمان حلوجي

الترجمة و التصحيح

محمد عز الدين سيف

التصميم والتنضيد والخراج الفني

حسام يوسف

دار النشر والطباعة

Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel: +90 212 671 07 00 Faks: +90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري

يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات
والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

www.islamicpublishing.org
almizab2011@hotmail.com
almizab2011@gmail.com

٢٤

"رب أدخلني مدخل صدق
وأخرجني مخرج صدق"



رب أدخلني مدخل صدق
الدكتور: عمر تشليك

٣



لا تتخذ باللعبة
محمد لطفي أرسلان

٣٤



إعرف قيمة الوقت
الأستاذ: عبد الله سرت

٢٨



من حكم أولياء الله
الأستاذ: عثمان نوري طوباس

٢٨	مِنْ حِكَمِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ	١	كلمة التحرير
٣٤	اعرف قيمة الوقت	٣	لا تتخذ باللعبة
٣٦	أبوتالاب وقصيدة اللامية	٧	التطهر في العالم الرقمي
٣٨	ديوان المظالم في الماضي	١٠	الذكر مفتاح السماوات
٤٠	برودة وقت الضحى	١٢	تشتت القلب والعالم الرقمي
٤٢	الصلاة: لقاء وجهاً لوجه	١٥	أول ما يخطر على بالك
٤٤	الإنسان والأشياء والمعنى	١٦	ما فقدناه في العصر الحديث
٤٦	حديقة النمو	١٨	العالم الرقمي يستنزف
٤٩	أثر للعلم أدب أيضاً	٢١	الاسترجاع: السلوى بالله
٥٢	علاقات القرابة	٢٤	رب أدخلني مدخل صدق
٥٤	الدهون	٢٦	الموت لا يخيف المؤمن
٥٦	طوبى لمن يلبي الدعوة	٢٧	المخلصون في محبة الله
		٢٧	كيف تُطفأ نار الحسد؟

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة



لا تنخدع باللعبة

محمد لطفي أرسلان

دعونا نسمي زماننا هذا بما هو عليه. هذا زمان تكون فيه التكنولوجيا فتنة. والفتنة هي اختبار؛ يمكننا أن ننجح في هذا الاختبار أو أن نفشل فيه... الاختبار هو لتتقية الذهب أو الفضة بالنار لتمييز الحقيقي منها عن المزيف. وربنا هو الأعلم بمن سينجح ومن سيخسر. لذلك فإن الهدف من الاختبار هو أن نعرف أنفسنا.

لن ننسى ذلك. "هذه المرة اكتفى بابتسامة خجولة. عندها تدخل أحد الذين يعرفونه قائلاً: "بشير يقوم بأعمال كبيرة." فشعرت بالفضول وسألته: "ماذا تفعل يا بشير؟" وتقدمت نحو الطاولة التي كان يعمل عليها. وبحماس كبير، ضغط على زر التشغيل على الشاشة السوداء التي كان منشغلاً بها مبتسماً بسعادة غامرة. فُتحت الكاميرا. قال لي: "هل يمكنك تقريب يدك من الكاميرا؟" فقرَّبَتهَا. بدأت الكاميرا تحول حركات يدي إلى خطوط على الشاشة. كنت أكتب في الهواء، وكانت كتاباتي تُقرأ على الشاشة.

كثيراً ما نتحدث عن الجوانب السلبية للعالم الرقمي، لكننا لا ندرك كيف يفتح هذا العالم آفاقاً جديدة لأمثال بشير. هناك جيل قادم يتعامل مع

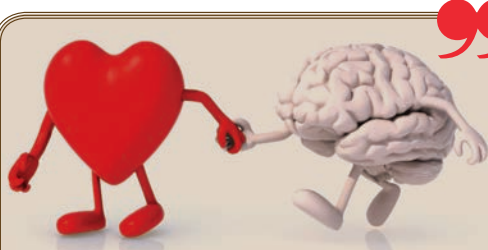
تعرفت على بشير الشهر الماضي في إحدى مدن البحر الأسود، في قاعة القراءة الملحقة بالمسجد. كان في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره. كان منشغلاً بشدة بشاشة الحاسوب السوداء بوجهه البشوش والمبتسم، لدرجة أنه لم يكن يلاحظ وجودنا. وعندما قال مسؤول القاعة: "جاء الإخوة من أجل عقد مجلس، فلنفرض المقاعد الأمامية"، شعرت بالحزن قليلاً لرؤيته ينهض على مضض. وعندما مر بجانبني، سألته عن اسمه ثم أردت أن أقول له كلمة تواسيه: "آسف إن كنا أزعجناك يا بشير، سامحنا..." فأجابنا بإجابة جعلتنا جميعاً نبتسم وهو يشيح بنظره بعيداً: "كان الأمر كذلك قليلاً، نعم...". وعندما كنا نغادر بعد انتهاءنا من العمل، داعبته مرة أخرى: "بشيري العزيز، نشكرك لأنك منحتنا مكانك،

في العلاقات بينها، لنعرف ربنا الذي خلقنا بقلوبنا ونحبه. الكتاب الأول هو القرآن الكريم، والكتاب الثاني هو الكون، والكتاب الثالث هو الإنسان، والكتاب الرابع هو كتاب الأحداث. والإنسان الذي يتفكر في زمانه، ويدرك ما يحدث له، ومن يتعامل معه، يكون قد بدأ في قراءة كتاب الأحداث.

العالم الرقمي هو صفحة من هذا الكتاب الذي ينبغي علينا قراءته، وربط ماهيته بباقي الكتب الأخرى. السؤال الأول الذي علينا طرحه هو: لماذا أصبح هذا العالم بديلاً عن العالم الحقيقي؟ الإجابة واضحة: الإنسان مخلوق ظالم، جاهل، وجاحد يميل بطبيعته إلى اتباع هواه وشهواته. عالم الخوارزميات المنسوج باللذة والسرعة هو في الحقيقة هروب من معاناة ومشقات العالم الحقيقي، وبالتالي هروب من الاختبار. أولئك الذين يروجون لهذا العالم كبديل لكل شيء هم في الحقيقة أعوان وأدوات للعدو الأثري الذي يسعى لإيقاع

التكنولوجيا بشكل مكثف، وستكون اختباراتهم مختلفة كثيراً عن اختباراتنا. بالنسبة لمن هم في أعمارنا، فإن التكنولوجيا أو العالم الرقمي ليس بريئاً أبداً، بل إن البعض يراه مجرد مضيعة للوقت. لكن الواقع ليس كذلك. فقد كرس الإنسان تقريباً كل جهوده وهمته لهذا المجال. لم يعد العالم الرقمي مجرد أداة للترفيه فحسب، بل تحول إلى اختبار رئيسي لكل منا بما يحمل من إغراءات بصرية. الخلاص أو الضياع سيكون من هنا. ربما سيتوقف مصيرنا على كيفية تعاملنا مع هذا العالم.

دعونا نسمي زماننا هذا بما هو عليه. هذا زمان تكون فيه التكنولوجيا فتنة. والفتنة هي اختبار؛ يمكننا أن ننجح في هذا الاختبار أو أن نفشل فيه... الاختبار هو لتنقية الذهب أو الفضة بالنار لتمييز الحقيقي منها عن المزيف. وربنا هو الأعلّم بمن سينجح ومن سيخسر. لذلك فإن الهدف من الاختبار هو أن نعرف أنفسنا. فلو شاء الله لهدى الجميع إلى طريقه. إن منحنا القدرة على الاختيار هو شرف للإنسان



الله تعالى يمنح لكل جيل نعمته وابتلاءه بتوازن. والعالم الرقمي هو ميدان امتحان يجب النظر إليه وفقاً لهذا التوازن بين النعمة والابتلاء. هذا المجال يكون مقبولاً طالما يسهل علاقتنا الأساسية مع ربنا (اللهم أنت ربي وأنا عبدك) ويعيننا على بلوغ مرتبة الأخوة التي اشتاق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما إن أصبح هذا العالم حائلاً دون هذه العلاقة، فهو مردود مرفوض. نحن لا نُخدع باللعبة، ولا باللعبة داخل اللعبة.

الإنسان في الخطأ.

فهم طبيعة العالم الرقمي دون إدراك حقيقته يجعل احتمال النجاح فيه معدوماً. هذا العالم هو في الحقيقة عالم بديل من اللعب واللهو الذي وصف به القرآن الكريم حياة الدنيا. إنه أسلوب حياة ينافس أسلوب الحياة الإسلامي الذي يضمن السعادة في الدنيا والآخرة؛ إنه يغطي العين والأذن والقلب، مانعاً الحقيقة من النفاذ إليها. الخوارزميات المدعومة بالبيانات يمكنها التعرف على المستخدمين عن كثب من خلال سلوكهم عبر

لأنه يظهر قدرته على الوصول إلى الصواب، لكنه في نفس الوقت محنة لأن احتمال الخطأ موجود أيضاً. إن النداء الإلهي: "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" يجب أن يفتح أعين الجميع في هذه النقطة.

علينا أن نفهم جيداً ما وصل إليه العالم الرقمي اليوم. هذا المجال هو الآن ساحة جديدة للعمل، والتواصل، والإصلاح، والإفساد، والترفيه، وهو صفحة من كتاب الأحداث الذي علينا أن نقرأه. لقد جئنا إلى هذا العالم لقراءة أربعة كتب والتأمل



الإنترنت، وتفضيلاتهم، وأنماطهم، بل ويمكنها التنبؤ بما سيفعلونه في المستقبل. والأسوأ من ذلك أنها تقدم لهم باستمرار المزيد من الرغبات، بشكل أقوى وأكثر، وبسرعة أكبر.

العالم الرقمي هو عالم الخوارزميات. الخوارزمية في الأصل مصطلح رياضي. وقد استُخدم لأول مرة على يد عالم الرياضيات المولود في خراسان، الخوارزمي. يُعرف بأنه الطريق المصمم لحل مشكلة معينة أو الوصول إلى هدف محدد. واليوم، تُستخدم الخوارزميات كصيفغ وأساليب في جميع أنواع منصات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي لعلاقتها بكيفية تفاعل هذه المنصات مع المستخدمين. بفضل هذه الخوارزميات، تعمل محركات البحث بشكل أفضل، وتظهر أمامنا صفحات أولئك الذين كنا على معرفة بهم منذ الدراسة الابتدائية.

هي عقبات في طريق التنقل الآمن في هذا العالم. يتفاعل المستخدمون مع المنصات الرقمية من خلال التحديثات المنتظمة، والإعجابات، والنقرات، تماماً كما هو الحال مع العبادات المنتظمة في الحياة الواقعية، مما يجعل وجودهم في البيئة الرقمية أمراً ضرورياً. فهنا يغلب شعور اللذة الناجم عن لفت الانتباه على الخوف من الإفشاء.

يهتم العالم الرقمي بمرتاده الأوفياء. فالمؤثرون الذين يُعرفون كقادة رأي يُعدون دليلاً في هذا العالم لإثبات كيفية التواجد فيه وتحقيق الاستمرارية. فأسلوبهم وسلوكهم يشكلان اتجاهات العالم الرقمي، ويُلهمون المستخدمين. ورغم أن المجتمعات والمجموعات عبر الإنترنت لا تعوض تماماً العلاقات والدوائر الاجتماعية في العالم الحقيقي، إلا أنها تمنح شعوراً بوجود روابط جزئية ومؤقتة. الخوارزميات تكافئ المشاركة بزيادة الإعجابات والمتابعين، بينما تُعاقب الانعزال بفقدان الظهور.

الخوارزميات التي تتعلم وتطور نفسها أصبحت كالولاية في العالم الرقمي، فهي تملي علينا ما يجب أن نراه، وكيف يجب أن نعيش، وبماذا ينبغي أن نؤمن. وفي هذا العالم الذي تديره الخوارزميات، يتمثل الشعور المسيطر علينا في نوع من الشعور بالمراقبة، لأن كل شيء يُراقب ويُسجل ويُتابع. الارتباط بالإنترنت دائم، إذ لا يمكن تحمل البقاء في وضع عدم الاتصال. وفي هذا العالم، فإن المبدأ الأساسي ليس الإخفاء أو الكتمان، بل الإفشاء. فالفضول هو المحرك الأساسي لتدفق المعلومات في العالم الرقمي. وفي الحقيقة، بينما يُعد نقل ما يسمعه الإنسان للآخرين في العالم الواقعي أمراً مذموماً ويكفي ليُحاسب عليه، فإن نشر المعلومات وزيادة التفاعل في العالم الرقمي يُعد شرطاً أساسياً كي تتبته الخوارزميات إليك وتبرزك في مقدمة المشهد.

وكما أن للعالم الحقيقي أصدقاء وأعداء وامتحانات، فإن للعالم الرقمي ذلك أيضاً. الفيروسات، وعمليات الاحتيال، والتوجيهات الخادعة المتعلقة بالخوارزميات

علينا أن نفهم جيداً ما وصل إليه العالم الرقمي اليوم. هذا المجال هو الآن ساحة جديدة للعمل، والتواصل، والإصلاح، والإفساد، والترفيه، وهو صفحة من كتاب الأحداث الذي علينا أن نقرأه. لقد جئنا إلى هذا العالم لقراءة أربعة كتب والتأمل في العلاقات بينها، لنعرف ربنا الذي خلقنا بقلوبنا ونحبه. الكتاب الأول هو القرآن الكريم، والكتاب الثاني هو الكون، والكتاب الثالث هو الإنسان، والكتاب الرابع هو كتاب الأحداث.



تُفسد القلب. يُسرّع العالم الرقمي هذه العملية من خلال تقديم المزيد والمزيد في كل خطوة تالية. وفي ظل هذه الأجواء المفسدة، يُصبح بلوغ مرتبة الأخوة التي اشتاق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً صعباً.

أطفالنا، مثل بشر، وُلِدوا داخل العالم الرقمي. نحن مهاجرون رقميون، أما هم فمواليد رقميون. ولا شك أن معرفتهم بالتكنولوجيا تفوق معرفتنا، لكنهم ليسوا في مأمن من مخاطر العالم الرقمي أكثر منا. الله تعالى يمنح لكل جيل نعمته وابتلاءه بتوازن. والعالم الرقمي هو ميدان امتحان يجب النظر إليه وفقاً لهذا التوازن بين النعمة والابتلاء. هذا المجال يكون مقبولاً طالما يسهل علاقتنا الأساسية مع ربنا (اللهم أنت ربي وأنا عبدك) ويعيننا على بلوغ مرتبة الأخوة التي اشتاق إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام.

أما إن أصبح هذا العالم حائلاً دون هذه العلاقة، فهو مردود مرفوض. نحن لا نُخدع باللعبة، ولا باللعبة داخل اللعبة. فنحن لا نولي اللعبة إلا قدرها، ولا نقع في غفلة الاغترار باللعبة داخل اللعبة.

ما قيمة الدنيا لمن نظر إلى عالم الخلود؟

وما أهمية العالم الافتراضي لمن أدرك أن الحياة

فانية؟

وفي العالم الرقمي، يمكن استخدام هويات افتراضية لا تتطابق مع الهوية الحقيقية. وهذا يفتح باباً لما يشبه "إعادة خلق الذات" بشكل متعجرف مقارنة بالعالم الحقيقي الذي يتمتع بخصائص "ممنوحة". في هذا العالم، يمكن للمستخدم أن يُنشئ شخصية بالهوية والشكل والمعتقد الذي يريده دون مساءلة. فلا الأسرة، ولا المجتمع، ولا الدين، ولا الدولة يمكنهم وضع حدود لما تفعله هذه الهوية. وفي هذا العالم تصبح الأخلاق والقيم نسبية. يُسمح لهذا المستخدم "الحر" بأن يفعل ما يشاء، وأن يشتم من يشاء، وأن يرتكب أي تصرف مشين دون خوف من المحاسبة. توبته الوحيدة تتمثل في محو اتصالاته وهويته، لكن من المؤكد أن هذه العملية ليست ممكنة أبداً. العالم الرقمي لا يمحو شيئاً، فبقاء البيانات دائم ويشكل تهديداً مستمراً بإظهار "الذنوب الرقمية" في أي وقت.

أكبر مشكلة في كون العالم الرقمي بديلاً عن العالم الحقيقي وألعاباً داخل ألعاب هو أنه يُضعف القدرة على التركيز، والتعمق، والتفكير. وسائل التواصل الاجتماعي هي مكان تُفرض فيه السطحية والتفاهة كميّارٍ قياسي. الذين يواصلون التمرير بلا توقف وينشغلون بمحتويات تُلبّي أهواءهم ورغباتهم، يفقدون تدريجياً القدرة على التوقف والتفكير كما تفرضه الحقيقة. هذه عملية



التطهر في العالم الرقمي

الدكتور. آدم أرغول

للفوز بالجنة، كما يمكن أن يصبح وسيلة للانزلاق نحو النار. وكما أن النعمة قد تحتوي على العذاب والهلاك، فإن المصيبة قد تفتح باب النعمة والنجاة. ولهذا فإن إصدار حكم مسبق قائم على التحيز ضد العالم الرقمي ليس صحيحًا. غير أن هذه البيئة سريعة الحركة، وتوفر فرصًا لنشر الخير وتكثيره، كما أنها تُتيح فرصًا لنشر الشر وتعميق الضلال. فكلما زادت سرعة الوسيلة، ازدادت أهمية التحكم في قيادتها. لذلك، فإن الحفاظ على الاستقامة والبقاء طاهرًا في عالم كهذا ليس بالأمر السهل. وتزداد الخطورة على الشخص الذي يجول وحيدًا في هذا العالم الرقمي برفقة نفسه الأمارة بالسوء.

إن أخطر جانب في العالم الرقمي هو أنه ينعزل الإنسان عن مجتمعه، فيصبح في حال ضعف تجعله عرضة للوقوع في المحذور. فالشخص الذي يتعد عن رقابة مجتمعه الحامية والراعية، يجد نفسه وجهًا لوجه

توجد علاقة وثيقة بين الإسلام والنظافة. فالإسلام يدعو إلى الطهارة من كل أنواع الأوساخ والنجاسات، الظاهرة منها والباطنة، مع السعي إلى الحفاظ على النفس والبيئة المحيطة نظيفة. والغاية النهائية من ذلك هي الوصول إلى مقام الشخصية النقية (الطيبة) التي يرضى الله تعالى عنها.

في هذا المقال، سنحاول الإشارة إلى بعض الطرق للبقاء طاهرًا في العالم الرقمي، وهو العالم الذي بات الجميع بطريقة أو بأخرى جزءًا منه، سواء بوعي أو بدون وعي.

لا شك أن العالم الرقمي جزء من العالم الذي نعيش فيه. فهو ميدان امتحان للإنسان الذي يُبتلى فيه بالخير والشر. في هذا الميدان نجد أبوابًا متنوعة من الاختبارات؛ فمنها ما هو نافع وضار، ومنها ما هو خير وشر. لذلك يمكن استغلال العالم الرقمي كوسيلة

مع رغبات نفسه التي لا تعترف بحلال أو حرام، ومع وساوس شياطين الإنس والجن التي تسعى إلى إضلاله. وفي مواجهة هذه المغريات التي يقدمها العالم الرقمي بزينته وفتنه وقوله: "هَيْتَ لَكَ"، لا يوجد ملجأ ولا مفر سوى أن يقول المرء كما قال نبي الله يوسف عليه السلام: "معاذ الله..." وفي مثل هذه الأوضاع، قد لا يكون من الممكن تجنب تمزق القميص، ولكن إذا كان هذا التمزق من الخلف، فقد يُعد ذلك دليلاً على حفظ الفضيلة، بل وقد يُنظر إليه بإعجاب وتقدير.

غالبًا ما يتلوث الإنسان من خلال حواسه الظاهرة مثل العين، والأذن، واللسان، واليد. وما يصل إلى هذه الحواس من أصوات وصور ومعلومات قدرة يمكن أن يفسد العقل، والمشاعر، والأحلام، والقلب. لذلك فإن حماية هذه الحواس أمر ضروري للبقاء طاهرًا.

إن القلب يميل بشكل طبيعي إلى ما تراه العين. لذا، فإن كل ما يُعرض على شاشات الأجهزة يقع في دائرة تسجيل كاميرا العين، وكل مشهد يترك أثرًا في القلب. قد تتضمن هذه المشاهد صورًا نافعة للعبارة والمصلحة، وقد تحتوي أيضًا على مشاهد محرمة ينبغي أن نغض الطرف عنها. وفي هذا السياق، يجب أن يُحدد المؤمن موقفه وفقًا للأمر الإلهي في قوله تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور، ٣٠-٣١]

وكما هو الحال أثناء السير في الطريق، قد تظهر أمامنا مشاهد غير مرغوب فيها في لحظات غير متوقعة. وفي هذه الحالات، فإن توجيه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يجب أن يكون دليلنا العملي، إذ قال له:

"يا علي، لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة" [أبو داود، النكاح، ٤٤].

فإذا استمر الشخص في النظر إلى المحرمات بعد النظرة الأولى، فإن عينيه وقلبه سيتلوثن معنويًا.

يُقال: "الإنسان يسقى من أذنه". بهذا المعنى، فإن أخطر فيروسات البيئة الافتراضية غالبًا ما تدخل إلى جوهر الإنسان عبر الأذن، فكم من دعاة الإلحاد ينشرون أفكارهم من خلال محاضراتهم، وندواتهم، وحواراتهم، ونقاشاتهم، مما يؤدي إلى تشويش الأذهان وتكدير القلوب. ومما لا شك فيه أن أكثر وسيلة افتراضية منتشرة في العالم اليوم والتي تؤثر بشكل كبير على الناس هي الموسيقى. فالأشخاص الذين يتعرضون لساعات طويلة لمختلف تطبيقات الموسيقى تتأثر أخلاقهم وسلوكياتهم وشخصياتهم بشكل ملحوظ. وعلى خلاف العين، التي منحها الله أهدافًا كالسواتر لحمايتها، فإن الأذن لا تملك مثل هذا الحاجز الطبيعي. والطريقة الوحيدة لحماية الأذن هي امتلاك إرادة قوية تمكن الإنسان من الامتناع عن الاستماع والخروج من تلك البيئة السامة. أما التحذير الإلهي الذي ينبغي أن يكون دليل المؤمن في هذا الشأن فهو قوله تعالى:

لا يمكن حصر كل النوافذ التي تفتح على الشر في العالم الافتراضي، فهي متعددة وتشمل مواقع الألعاب غير المضبوطة، وقنوات القمار التي لا تُحصى، والمشاهد الإباحية المبتذلة التي تثير الشهوات. وفي سوق مفتوح كهذا، لا يمكن الحفاظ على الطهارة إلا بتربية خاصة تعتمد على إيمان قوي وإرادة صلبة. فمن استطاع توظيف إرادته في الاختيار الصحيح، استطاع أن يبقى طاهرًا، وأما من ترك نفسه للتيار الجارف، فلا شك أنه سيتعرض للتلوث.



﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء، ١٤٠].

وتؤدي بيئات المحادثات الصوتية والمكتوبة والمرئية دورًا بارزًا في التأثير على الناس، وغالبًا ما تكون هذه الوسائل منشغلة بأمور غير ضرورية. وبالرغم من أنه لا يمكن تعميم الحكم السلبي على جميع هذه الوسائل، إلا أنه يمكن بسهولة تصنيف كثير منها على الأقل كوسائل عديمة الفائدة إن لم تكن ضارة. فإذا كان من المعروف أن الكلام الفارغ يُقَسِّي القلب، فإن كثيرًا من هذه المحادثات تضر أكثر مما تنفع. وهنا، ينبغي أن يكون التحذير الإلهي التالي درعًا يحمي المؤمن:

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق، ١٧-١٨]

ولا يمكن حصر كل النوافذ التي تفتح على الشر في العالم الافتراضي، فهي متعددة وتشمل مواقع الألعاب غير المضبوطة، وقنوات القمار التي لا تُحصى، والمشاهد الإباحية المبتذلة التي تثير الشهوات. وفي سوق مفتوح كهذا، لا يمكن الحفاظ على الطهارة إلا بتربية خاصة تعتمد على إيمان قوي وإرادة صلبة. فمن استطاع توظيف إرادته في الاختيار الصحيح، استطاع أن يبقى طاهرًا، وأما من ترك نفسه للتيار الجارف، فلا شك أنه سيتعرض للتلوث. إن هذا العالم الرقمي، الذي يمتلك قوة جذب هائلة يمكن أن يبتلع الشخصيات كما يبتلع الثقب الأسود ما حوله، فيحوّل الكثير من الناس إلى كومة نفايات معنوية.

وخلاصة الكلام أن المطلوب هو أن نتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء بلسان الحال والمقال، طالبين منه أن يحمينا ويحمي أبنائنا من شرور هذا العالم الرقمي، وأن يمنحنا الفطنة والبصيرة لاستغلاله فيما ينفعنا، مع بذل الجهد في هذا السبيل.

النفس المطمئنة

{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} (الفجر، ٢٧)

النفس المطمئنة هي نفس أهل التقوى واليقين، وهي مرتبة أهل الله العارفين، الذين انشغلت بذكر الله قلوبهم، واطلعت على بواطن أحكام الشرع عقولهم.

يقول الإمام الرباني:

«إن العبودية والعبادات هي محض تقليد، لكن حين يصل المرء إلى مرتبة النفس المطمئنة يغدو التقليد تحقيقًا».

ويقول شيخنا سامي أفندي:

«إن دخول الإسلام بالمعنى الحقيقي منوط بالتخلص من النفس الأمّارة، واتباع أوامر الله تعالى، وبناءً على ذلك، تُطلق كلمة (الإسلام المجازي) على الإسلام الذي يُصدِّقه القلب فقط قبل الوصول إلى النفس المطمئنة، وتُطلق كلمة (الإيمان الحقيقي) على الإيمان بعد أن تصل النفس إلى مقام النفس المطمئنة».

أما الترقى في العبودية إلى مستوى التحقق، فهو الوصول إلى «مرتبة الحقيقة» الموجودة في تسلسل الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة.

الذكر مفتاح السماوات

الأستاذ. طارق أبلق

وتطعمك الطعام وعن قريب... ستطعم منك ما منها طعمتا
كل كائن حي يُعطى عمرًا في مسرح الوجود، وفي يوم من
الأيام يعود إلى التراب. في تلك اللحظة لا يبقى شيء سوى
التراب، لا مال، ولا جمال، ولا ملابس ملونة. وقد عبر الشاعر
محمود كايا، عن هذا الحال بأبيات شعرية جميلة:

ينكسر قلبي عندما تذبل الورود

ويغيب نور الأمل عندما ينقضي الزمن

من كان طويلًا كالسرو وجميلًا كالقمر

من ينظر إلى وجهه عندما يتحول إلى تراب.

الموت يجعل الإنسان يتحول إلى حال لا يُعرف فيها. فالجسد
الذي نعمل جاهدين على راحته وتأمينه يصبح طعامًا للتراب.
والقبر الذي لا يحتوي على وسادة أو لحاف هو أسوأ وأقل راحة
من أسرة نومنا طوال حياتنا... قال زيا باشا:

إما أن تموت على سريرك الفخم، أو على خرابة

فإن الغني والفقير سيدخلان التراب معًا.

لذلك، يجب علينا أن نترك الاهتمام بمظاهر راحتنا المؤقتة،
ونركز على تحسين مكان راحتنا الأبدي.

وتعري إن لبست لها ثيابًا... وتكسى إن ملابستها خلعتا

هنا يُشَبَّه الشاعر الدنيا بالملابس. ملابس الدنيا تغطي الجسد،
لكنها قصيرة على الروح. ملابس الدنيا تدفع الجسد، لكنها لا
تدفع الروح. والغريب في الأمر أن هذه الملابس هي التي تخدع
الإنسان بحيث أنه عندما يكون فيها أو يسعى وراءها، لا يدرك
جوع روحه أو عريها. ولذلك، قال الشاعر إن من يرتدي ملابس
الدنيا سيظل عاريًا.

من يريد أن يلبس روحه، يجب عليه أن يخلع ملابس الدنيا،
أي يجب عليه أن يطهر قلبه من حب الدنيا. وعندها سيحصل
قلبه، وهو جوهر وجوده، على زينتته وجماله الحقيقي.



وإن هدمت فزدها أنت هدمًا

وحصّن أمر دينك ما استطعتا

رغم أن حياة الدنيا محطة مؤقتة، إلا أن الإنسان، بسبب ميوله الطبيعية، يُخدع ويفني حياته من أجل الدنيا. مع أن إعمار الدنيا أمر مستحيل. كما عبر عن ذلك نيازى المصري في ديوانه: "هذا الخراب جهد العديدين في إعمارها، لكن بينما يعمرّون جانبًا، يُهدم جانب آخر".

وبما أن الإنسان مهما فعل لا يستطيع أن يُعمر العالم، فمن غير العقلاني أن يسعى جاهدًا لذلك. ويشبه الإلبري في شعره قول "إذا كانت الدنيا تُهدم، فهي بالفعل في حالة تهدم مستمر، إذا عليك أن تهدمها أنت أيضًا".

فكيف يهدّم الإنسان الدنيا؟ لا شك أنه لا يقصد الشاعر أن الإنسان يجب أن يدمّر الدنيا أو يسبب لها ضررًا عمدًا. بل المقصود هو أن الإنسان، بعدم إعطاء الدنيا أهمية وعدم السعي لإعمارها، يهدّمها بالفعل. فالدنيا مع مرور الأيام تتآكل وتضعف وتشيخ. لذلك، عدم السعي لإعمارها هو كافٍ لأن يهدّمها. إضافة إلى ذلك، إزالة حب الدنيا من القلب هو أيضًا هدم الدنيا في قلب الإنسان. بعبارة أخرى، المؤمن الكامل يهدم ويتخلص من آماله الدنيوية في قلبه، وعندها يعيش متدوفاً لرحمة الله ومحبتها. ويُفهم من قول الشاعر "اهدم" أنه لا ينبغي فقط عدم إعطاء الدنيا قيمتها، بل أيضًا أن الحفاظ عليها غير ضروري. إذا كان هناك شيء يستحق الحماية والتقدير، فهو الدين والتقوى فقط.

وأكثر ذكره في الأرض دأبًا... لتذكر في السماء إذا ذكرت

قال الله تعالى: (فاذكروني أذكركم) [البقرة، ١٥٢].

وقال رسول الله ﷺ في حديث قدسي: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" [البخاري، التوحيد، ١٥] وفي حديث آخر قال ﷺ: "لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده" [مسلم، الذكر، ٣٩، ٣٨]



من هذه الآية الكريمة والأحاديث الشريفة يتضح أن من يذكر الله تعالى يذكره الله في السماء، ويذكره الملائكة وأهل السماوات. ومن أعظم ما يطمح إليه الإنسان في حياته هو أن يُذكر بالخير بين الناس. لا سيما إذا كان من أحبائه وأصدقائه، فإن معرفته بأنه يُذكر بالخير من هؤلاء الأشخاص هو من أعظم السعادة. فما بالك إذا كان الله سبحانه وتعالى، رب العالمين، يذكره، وتذكره الملائكة بين السماوات؟ إن هذا هو أسمى شرف يمكن أن يحصل عليه الإنسان في هذه الدنيا. وللحصول على هذا الشرف العظيم، يكفي أن نذكر الله تعالى بقلب صادق، وأن نكون من الذاكرين لله سبحانه وتعالى في جميع أوقاتنا. الله عز وجل قد منحنا هذه النعمة العظيمة، والتمتع بها، والتذكر لله، والذكر في حضرته هو شرفٌ عظيم وسعادة لا تضاهاى.

اللهم وفقنا لتوظيف وقتنا في هذه الدنيا بأفضل وجه، ونسألك أن نصل إليك ونحن خالصون ومخلصون، وأن تجعل حسابنا سيرًا يوم القيامة. وعندما نكون ترابًا، سهل علينا حسابنا، ولا تترك أرواحنا عارية، وزين قلوبنا بثوب التقوى وكساء الروح بالروحانية. اجعلنا من الذين يُذكرون في حضرتك، ويخرجون إليك بوجوه مشرقة ومضيئة. آمين يا مجيب الدعاء.

نشأت القلب والعالم الرقمي



وقد وضع الإمام الرباني أحمد السرهندي طبيعة الإنسان هذه بقوله: "هناك مسألة أخرى هي أن الإنسان يحتاج إلى أشياء كثيرة. فاحتياجات باقي المخلوقات عامة وقليلة، بينما يحتاج الإنسان وحده إلى كل ما تحتاجه تلك المخلوقات مجتمعة. ولهذا السبب، فإن علاقته بالأشياء والكائنات أشد مقارنة بالمخلوقات الأخرى. وفي كثير من الأحيان، تبعد هذه العلاقات الشديدة عن الله تعالى. فالصور التي تنعكس في مرايا باقي المخلوقات مجتمعة، تظهر كلها في مرآة واحدة وهي مرآة الإنسان. ولهذا، فإن الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها، لكنه في الوقت نفسه قد يكون أشر المخلوقات". [المكتوب الخامس والأربعون].

ومن مقتضيات مهمة الخلافة أن الله سبحانه وتعالى قد أودع في داخل الإنسان فضولاً لا ينتهي، وغريزة تعلم كل شيء. وقد استغل العالم الرقمي هذا الفضول وهذه الحاجة، فاستثمرهما بشكل سيئ، مما جعل

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بصفات تجعله قادراً على التواصل مع جميع الكائنات في الكون وإدارتها، ذلك لأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، وهو أكمل مظهر لأسائه الحسنی. وهذه الصفة الشاملة التي يتميز بها الإنسان هي في الوقت نفسه أقوى نقطة عنده وأضعفها أيضاً. فالإنسان مكلف بالاهتمام بكل ما في هذا العالم، من السمكة في أعماق البحر إلى الطائر في السماء، ومن النباتات والمعادن إلى الكائنات الحية فوق الأرض وتحتها. ولكن ينبغي أن يكون هذا الاهتمام بقدر الحاجة وبطريقة متوازنة. فعلى سبيل المثال، من الطبيعي أن يهتم الطبيب بجميع أنواع الأدوية المنتشرة في مختلف مناطق العالم بحكم عمله. وبالمثل، من المقبول أن يتابع السياسي عن كثب أحوال العالم. لكن غير الطبيعي هو أن يبدد الإنسان الحديث اهتمامه في مئات الموضوعات غير الضرورية.

الإنسان يصبح مدمناً على هذا العالم. وحين يُضاف إلى ذلك ميل الإنسان الطبيعي إلى اللعب واللهو، فإن تيار العالم الرقمي الجارف يصبح قادراً على سحب الكثير من الناس معه. وقد قال ربنا سبحانه وتعالى في وصف الحياة الدنيا:

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت، ٦٤]. كانت هذه

الآية تُفهم سابقاً على سبيل المجاز، لكنها في عصرنا أصبحت واقعاً نعيشه... فالناس فعلاً يقضون جزءاً كبيراً من ساعات يقظتهم في ممارسة الألعاب على الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر. وفي أيدي القوى الشريرة، باتت وسائل التواصل الاجتماعي خطراً كبيراً يهدد الإنسانية، وبالتالي الإسلام أيضاً. حتى الذين يستخدمون هذا العالم الرقمي في الأمور المباحة فقط، سرعان ما يصبحون مدمنين عليه. وقد أطلق الصوفيون على هذا النوع من الانشغال غير الضروري اسم "العلائق" أو "الارتباطات الزائدة"، والتخلص من هذه الحالة يصبح يوماً بعد يوم أكثر صعوبة. والأمر اللافت أن هذا الإدمان لا يقتصر على الشباب فقط، بل أصبح كبار السن ومتوسطو العمر أيضاً أسرى لهذا العالم الرقمي.

إن المشاعر الكامنة في النفس البشرية، كالجنس، والعدوانية، والفضول، وحب السيطرة، والرغبة في المحبة والإعجاب، كلها يتم استغلالها من العالم الرقمي بأسوأ الطرق، حيث يتم تخفيف هذه المشاعر وتأجيحها، مما يُبعد الناس عن الله تعالى والحق. ولا شك أن في العصور القديمة كانت هناك أيضاً وسائل ترفيه مغرية وأعمال فارغة تشغل الناس، لكنها لم تكن منتشرة بهذا الشكل الواسع. أما اليوم، فقد أصبحت هذه الأعمال التافهة وإضاعة الوقت في العالم الرقمي

إن الإعراض عن ما سوى الله لا يعني ترك أمور الدنيا تماماً أو الامتناع كلياً عن استخدام إمكانيات العالم الرقمي، لأن العالم الرقمي يتيح القيام بالعديد من الأمور المفيدة. المهم هنا هو أن نستخدم نحن التكنولوجيا، لا أن تستخدمنا هي. وقد أوصى النقشبنديون بتحقيق هذا التوازن من خلال مبدأ "الكائن والبائن" في جميع أمور الدنيا، أي أن يستخدم المرء شيئاً دون أن يمنحه قلبه.

إدماً عاماً يشمل الأطفال والكبار والنساء والرجال على حد سواء. وينبغي لعلماء النفس وعلماء الاجتماع والأطباء والاختصاصيين النفسيين أن يعملوا جاهدين للعثور على حل لهذه الآفة.

أما من منظور التصوف، فقد كان الصوفيون على مر العصور في مواجهة مستمرة مع مثل هذه الأخطار. ومن أبرز الحلول التي قدمها الصوفيون، لا سيما النقشبنديون، هو مبدأ "نَظَر بَر قَدَم"، وهو يعني أن يثبت الإنسان بصره عند موطئ قدمه، ويحفظ عينيه من النظرات الزائدة، وبذلك يتمكن السالك من تقليص اهتماماته وانشغالاته بالأمور الفارغة وغير الضرورية. فكل حاسة من حواس الإنسان هي نعمة عظيمة، لكن العين تحتل مكانة خاصة بينها. إذ أينما توجهت العين، يتبعها القلب، وما تقع عليه أعيننا من مشاهد يشغل قلوبنا لاحقاً. وكل نظرة محرمة هي بمثابة بذرة سامة تُغرس في القلب. واليوم، يُسلب العالم الرقمي أبصار الناس، فيُسَمِّ قلوبهم، ويفقد مدمنيه مشاعرهم الإنسانية. إن أسرى هذا العالم المزيف ينسون الغاية الحقيقية من وجودهم في هذه الحياة، وتمتلئ قلوبهم بما يُسمى عند الصوفية بـ "ما سواه"، أي كل ما سوى الله سبحانه وتعالى. وقد وصف الإمام الرباني السرهندي هذه الحالة بأنها "انعدام الحياء"، وقال في ذلك:

"تفضيل محبة ما سوى الله على محبة الحق، بل وإضاعة هذه المحبة في حب الأمور المادية، هو قمة

المجتمع المطمئن

إذا ألقينا نظرة على مجتمع عصر الرسول ﷺ، فإننا لن نصادف أي مشكلة اجتماعية أو اقتصادية حقيقية تعصف به، لأن الناس في ذلك المجتمع كانوا يداومون على طاعات وعبادات فريدة في أثرها الاجتماعي والاقتصادي، فمواظبتهم على صيام الفرض والنافلة بإيمان راسخ، كان يحث الإنسان - بمحاسبة النفس - على الرحمة والرأفة واستشعار حال المحتاجين، وكانت مظاهر الرحمة مثل الزكاة والإنفاق والصدقات تحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية. وعلى هذا الأساس أنشأ العثمانيون مؤسسات الرحمة

في المجتمع،
فلبَّوا حاجات
المجتمع المادية
والمعنوية بالمساجد
والمدارس والتكيات
والمستشفيات والسُّبل
والمطابخ الخيرية وغيرها من
المؤسسات، وضمَّنوا
الطمأنينة والسكينة في
البنية الاجتماعية.

القبح وقلة الحياء. ولعل المقصود بالحياء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (الحياء من الإيمان) [الترمذي، ٢٠١٦]، هو هذا النوع من انعدام الحياء. وعلامة ترك القلب للاهتمام بما سوى الله تعالى هي أن ينسى المخلوقات تمامًا ويعرض عنها". [المكتوب ١٠٩]

إن الإعراض عن ما سوى الله سبحانه وتعالى لا يعني ترك أمور الدنيا تمامًا أو الامتناع كليًا عن استخدام إمكانيات العالم الرقمي، لأن العالم الرقمي يتيح القيام بالعديد من الأمور المفيدة. المهم هنا هو أن نستخدم نحن التكنولوجيا، لا أن تستخدمنا هي. وقد أوصى النقشبنديون بتحقيق هذا التوازن من خلال مبدأ "الكائن والبائن" في جميع أمور الدنيا، أي أن يستخدم المرء شيئًا دون أن يمنحه قلبه. ويمكننا تطبيق هذا المبدأ في التعامل مع العالم الرقمي، حيث يكون المسلم حاضرًا في العالم الرقمي لتحقيق غاية معينة، لكنه يبقى بقلبه بعيدًا عنه، لأن قلبه مخصص فقط لمحبة ربه سبحانه وتعالى... يقول الإمام الإمام الرباني السرهندي:

"المرء مع من أحب. فهنيئًا لمن لا يحمل في قلبه إلا محبة الله تعالى، ولا يرجو سوى رضاه! فقد يبدو هذا الشخص مشغولًا بين الناس (بأمر الدنيا)، لكنه في داخله متصل بالله تعالى. ولا يمكن للقلب أن يجمع بين حب شيئين في آن واحد. فإذا ارتبط القلب بمحبة أحدهما، لم يبق مكان فيه لمحبة الآخر" [المكتوب ٢٤].

على السائرين في طريق السلوك المعنوي أن يحاسبوا أنفسهم أكثر من غيرهم، وأن يتعدوا عن كل أشكال الإدمان التي تُضيّع أوقاتهم. لكن هذا الأمر ليس سهلاً على الإطلاق. لذلك، فإن الحاجة إلى التربية الروحية أصبحت اليوم أكثر أهمية من الماضي. إذ إن القدرة على إقامة علاقة متوازنة مع التكنولوجيا الحديثة والعالم الرقمي لا يتمكن منها إلا أصحاب الإرادة القوية والقلوب المتينة. فطوبى لمن نجا من شر العالم الرقمي واستفاد منه في الخير.

وفي ختام مقالنا، نشارك بقلوبنا فرحة إخواننا المسلمين في سوريا بانتصارهم الكبير على الظلم، ونهنتهم من أعماق قلوبنا. ونسأل الله تعالى أن يمنَّ علينا برؤية خلاص جميع المسلمين المظلومين، وعلى رأسهم أهل غزة، في القريب العاجل. آمين.

أول ما يخطر على بالك

بفضل رجل! أنتِ التي، بعد قرون، تستحقين أن توقعي على أعظم الإنجازات باسم الإنسانية وباسم نفسك. فقط، كوني كهاجر... من أجل قضيتك وعائلتك، تعلمي كيف تبحثين بجنون، وكيف تركضين، وكيف تؤمنين.

هاجر، تلك المرأة التي ركضت في قلب الصحراء بين جبلي الصفا والمروة، وهي تحترق من لهيب الشمس والعطش، بينما قلبها يكاد ينفطر من القلق على رضيعها، تصعد إلى قمة كل جبل وتنظر نحو طفلها لتتأكد من سلامته، تسعى بكل ما تملك من أمل، بعين دامعة وقلب

خاشع، تسعى لأجل نفسها فقط، بل لأجل حياة تولد، لأجل بشرية قادمة. هي أمنا المضحية، التي سارت البشرية رجالاً ونساءً على خطاها في تلك الأرض المقدسة، وتتبعوا خطواتها بكل خشوع، يقلدون سعيها، ويستحضرون تضحياتها، حتى أصبح سعيها من أركان نسك الحج والعمرة، فلا يتم حج رجل أو عمرته دون أن يتبع خطوات امرأة،

ولا يكتمل قلبه إلى الله إلا باقتفاء أثرها. السعي من أعظم العبادات، يتطلب جهداً ووقتاً وصبراً وثباتاً، فكل من يُنكر مكانة المرأة في الإسلام، فليتأمل كيف أن الله خلد أثر امرأة، وجعل حركتها عبادة، وجعل صبرها طريقاً للعبور إلى الجنة... أنتِ هاجر، أينما كنتِ، كنتِ منبعاً للبركة والحياة، فإن وجدتِ وجدتِ البركة، ووجد النظام، ووجد العزم، ووجد الحب، ووجدتِ أنتِ، فكان الوجود. الماء هو أصل الحضارة، وهاجر كانت سبب تدفقه، فكانت المرأة أول من مهد لطريق الحضارة.

أنتِ جوهرة الإسلام؛ المضيفة، السخية، الكريمة، التي تعطي بثقة، وتؤمن أن الخير يعود مضاعفاً، المرأة التي بها تُعمر الديار، وتروى القلوب، وتبنى الحضارات.

عزيزتي المرأة، أود اليوم أن أشاركك سرّاً. في داخلك تحملين صفات من المرأة التي تخطر ببالك أولاً عند ذكر كلمة "امرأة". إذا كانت السيدة عائشة رضي الله عنها هي من تتبادر إلى ذهنك، فأنت تميلين إلى العلم. وإذا كانت السيدة خديجة رضي الله عنها فهي التجارة والوفاء والإخلاص. وإذا كانت بلقيس، فالحكم والإدارة. وإذا كانت مريم عليها السلام، فالتفاني في سبيل الإيثار والقضية. وإذا كانت رابعة العدوية، فالتقوى والعبادة. وإذا كانت حواء، فصفات الأمومة. وإذا كانت هاجر، فال بدايات الجديدة المليئة بالحياة. ومن



بين آلاف اللآلئ العطرة التي نحملها في أكفنا، أيها كانت رائحتها الأقرب إليك، فإنني أعددك بأنها ستكون لك خريطة تهديك الطريق. فلتعدّي الآن من مثلك، ولنبدأ نحن بقول "بسم الله" للقيام بما علينا... المرأة التي هي هاجر صاحبة إيمان صلب كالصخر؛ قوية، صبورة، مثابرة، مستسلمة، نموذج في النضال والمجاهدة... المرأة

التي أهديت لنبي لأن زوجته الأولى لم تكن تلد، وحين وُلد إسماعيل، واجهت غيرة نسائية قوية، وكانت أمة قبل أن تُصبح زوجة لنبي... وحين رأت سارة وجهه إسماعيل الجميل واهتمام والده به، قالت: "أبعدهما عن ناظري!" فأخذ النبي إبراهيم عليه السلام بأمر من الله، وذهب بهما إلى المكان الذي أشار الله إليه... أنتِ هاجر، حين كنتِ وحدك في وسط الصحراء تحملين طفلك في حضنك، أظهرت تسليماً عظيماً وطاعة بلا سؤال، وكنتِ سبباً في ولادة زمزم، التي أصبحت مصدر شفاء وبركة وقداسة للبشرية حتى يوم القيامة. أنتِ امرأة مثمرة مباركة.

أيتها المرأة، انهضي؛ زمزم، التي اعترفت حتى العلوم الحديثة بتفوقها، لا تزال تتدفق اليوم بفضل سعيك، لا

ما فقدناه في العصر الحديث

إن المجتمعات الحديثة تفتقر إلى صفات العبودية، وهي غافلة عن معاني التسليم والتضحية. فقد بات العالم محروماً من المريدين المتواضعين والصادقين. إن فقدان صفة المريد هو أعظم خسارة تعانيها أمة محمد ﷺ. وإن حرمان العالم من درويش مخلص أو طالب متواضع، فإن ذلك يؤدي إلى انقطاع في الفيض المتدفق من رسول الله ﷺ. ويؤدي ذلك إلى تلاشي المحبة، والمعنى، والثقة، والطمأنينة. ويعقب ذلك انتشار الظلم، والنفاق، والجور، والفساد.

رابعة برودريك

التسليم والتضحية. فقد بات العالم محروماً من المريدين المتواضعين والصادقين. إن فقدان صفة المريد هو أعظم خسارة تعانيها أمة محمد ﷺ. وإن حرمان العالم من درويش مخلص أو طالب متواضع، فإن ذلك يؤدي إلى انقطاع في الفيض المتدفق من رسول الله ﷺ. ويؤدي ذلك إلى تلاشي المحبة، والمعنى، والثقة، والطمأنينة. ويعقب ذلك انتشار الظلم، والنفاق، والجور، والفساد.

لقد فقدنا في العصر الحديث تماماً إحساسنا بالثقة ببعضنا البعض، فلم نعد نثق بأنفسنا ولا بالآخرين. وفي ظل هذا الحال، لا يمكن بلوغ مقام القرب من جمال الله تعالى، ولا الوصول إلى مرتبة التوكل. وقد قال رسول الله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، ونحن بتركنا لهذا المعنى نسيء إلى أنفسنا.

إن أكبر نقص لدينا هو الفجوة بين أقوالنا وأفعالنا. فنحن نشهد أن أقوالنا لا تتحول إلى أفعال، وهذا ما يولد النفاق والازدواجية في حياتنا. وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف، ٢-٣].

إن قادة المجتمعات اليوم، سواء كانوا رؤساء أو مدراء أو مسؤولين، يقودون العالم بأساليب غير إنسانية، ومتوحشة، وهمجية، وفسادة. لقد بلغت ألعيب القادة

فقد الإنسان في المجتمع الحديث بُعدَه الروحي. فقد رقتَه، ورؤيته، وقديسيته، وعشقه، وجماله. فقد معناه وقيمتَه، وفقد قدسية الحياة. بات البشر يفتقرون إلى الحساسية والرقّة التي تجعلهم بشراً بحق. الشك، والتشكيك، وفقدان الثقة، واللامبالاة، والخوف، والجبن؛ كلها نقاط ضعف يلهمها الشيطان للإنسان الحديث. وتغلغل النزعة الدنيوية في كيان الإنسان، وهو أكرم المخلوقات، يُعد مصدراً للعديد من الكوارث.

حين نحرم أنفسنا من المعنى، والنور، والحب، والبركة، فهذا يعني انقطاع الاتصال بيننا وبين سيد الكائنات ﷺ. فالمحبة مسؤولية، وحمل الأمانة مسؤولية، وسماع كلمات النبي ﷺ والعمل بها مسؤولية. وحين لا نتحمل هذه المسؤوليات، فإننا نكون قد خرجنا من دائرة الإسلام.

إن أكبر خسارة في زماننا هي فقدان الصدق والإخلاص. فقد كان النبي ﷺ قبل أن يبدأ الصلاة يلتفت خلفه ليرى إن كان الصحابة قد اصطفوا بصورة صحيحة، ووقفوا كتفاً بكتف. وقد كان الصحابة يحرسون على هذا الالتزام بحب واحترام شديدين حتى بدأت أكتاف ملابسهم تتهالك من كثرة الاحتكاك. وهذا هو الحب والإخلاص الذي فقدناه اليوم... إن المجتمعات الحديثة تفتقر إلى صفات العبودية، وهي غافلة عن معاني

السياسيين والاقتصاديين ذروتها في الانحراف والفساد. بلغ تدهور الفكر الحديث، ومكائد العصر، وأكاذيبه، ونفاقه، وخداعه منتهاه. وهذا الانحدار هو نتيجة مباشرة لهجمات الشيطان ووساوسه التي أصبح المجتمع الحديث أكثر تقبلاً لها من أي وقت مضى.

من ابتعد عن الصدق، ورفض رؤية الحقيقة، ولم يرفع يديه بالدعاء من أجل أخيه المؤمن، وخدع نفسه، وأصر على السير في طريق الغفلة، وامتلاً بالطمع، وعشق المال، وباع الآخرة واشترى الدنيا، واتخذ من نفسه إلهاً يعبدته فأفرغ روحه من كل معاني الحياة، وعاش كالسارق الجاهل، لا يمكن الوثوق به! وقد قال رسول الله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، فمن خالف هذا الوصف، ومن خدعنا فليس منا.

قال النبي ﷺ: "خير الناس أنفعهم للناس". فالشخص الذي يلتزم بهذه التعاليم هو الجدير بالثقة حقاً!

الناس لا يمكنهم الوصول إلى السلام والعدل والصدق والنزاهة إلا بانتصار المحبة بينهم. لا يمكننا تحقيق العدالة ما لم نرفع ظلم أنفسنا عنها.

فحينما لا يعيش الإنسان حياةً صادقةً وعادلةً، يظهر النفاق والانحراف والرياء. ويبدأ في ظلم نفسه والمخلوقات من حوله، فتفسد علاقاته مع الآخرين، ويذبل قلبه تدريجياً، إلى أن يفقد إنسانيته. وحينئذٍ لا تزدهر مشاعر الثقة والسكينة والرحمة.

إذا أردنا النجاة من ظلم أنفسنا، والخلاص من القلق والاضطراب، فإن السبيل الوحيد هو التسليم التام لسيدنا محمد ﷺ، الذي سُمِّي قبل بعثته بـ "محمد الأمين". فقد كان الناس يثقون به في كل أمر، ويلجؤون إليه للمشورة في مختلف شؤون حياتهم. يقول الله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء، ١٠٧-١٠٨].

فالتشبه به صلى الله عليه وسلم هو السبيل الوحيد للنجاة من الاضطراب والشكوك وانعدام الثقة. وحل كل مشكلة يواجهها الإنسان في حياته يكمن في رسولنا الكريم ﷺ؛ فهو معلمنا الوحيد، وهادينا، ونور هدايتنا،

وقدوتنا الكبرى. لأنه هو القرآن الحي الذي جسّد القيم والمبادئ في كل جانب من جوانب الحياة. لقد كان لنا خير معلم وأب ومستشار ومحارب وزوج وعامل وقائد بمثاله الراقي وشخصيته النبيلة.

والخلاص من فيروس الأنانية الحديثة يكمن في العودة إليه، فهو علاجنا ودواؤنا الوحيد. يجب علينا تطبيق الوصفة الإلهية، وإيقاظ قلوبنا من غفلتها التي تمحو محبة النبي ﷺ. علينا أن نحول همومنا الدنيوية إلى هموم آخروية، وأن نحرص على اتباع الروح بدلاً من الانشغال بمصالحنا الشخصية. علينا أن نسعى لاحتضان الآخرين بدلاً من التملك، وأن نعمل على تطهير العالم من قبح الشرور التي يزرعها أعداء الحق. علينا أن ندرك النعم التي أعدها الله على أمة محمد ﷺ، وأن نكتشف إنسانيتنا الحقيقية، ونحرر طاقاتنا الإلهية الخفية، وتخلص من جهلنا وغفلتنا.

وحينها فقط سيعود العقل والجسد والروح والقلب إلى صحتها الحقيقية. ستزدهر مشاعر الرحمة، وستشرق أنوار الإخلاص والمحبة. وسوف تتجلى العدالة، والسلام، والثقة في حياتنا.

الثقة هي الحجر الأساس الذي فقده الإنسان المعاصر. فالعلاقات التي لا تُبنى على الثقة تنهار مع أول اهتزاز بسيط، وتصبح مجرد أنقاض في ركام الإنسانية. إن معنى الثقة أصبح نادراً جداً في عصر صار فيه الناس يجرحون بعضهم البعض ويسرقون من بعضهم البعض.

الثقة تعيش اليوم ككنز دفين في أعماق القلوب الطاهرة. تظهر في الذي يسير بخطوات ثابتة، وبعزم وحب نحو النور الذي يشع من داخله، وهو مستسلمٌ لجمالهِ الداخلي. إنها شعورٌ لا يُرى إلا في من يمسك بحبل التسليم بقوة مع إيمانٍ متزايد. فإن استطاعت شمعة أن تُضيء شمعةً أخرى، فهناك ثقةٌ وأمان...

وإن استطاعت نفسٌ أن تذوب في نفسٍ أخرى، فهناك ثقةٌ وتسليم... وإن استطاع سلامٌ أن يصبح دعاءً لسلامٍ آخر، فهناك ثقةٌ وطمأنينة... وإن استطاع قلبٌ أن يلامس قلباً آخر، فهناك ثقةٌ وحبٌ لا نهاية له...

العالم الرقمي

يستنزف

عند النظر إلى تاريخ البشرية، نرى أن هناك تطورًا وتقدمًا تدريجيًا من الناحية التقنية في جميع مجالات الحياة. ومع ذلك، فإن التغيير السريع الذي شهدناه في القرنين الأخيرين ربما لم يسبق له مثيل في أي فترة أخرى. لقد زادت هذه التطورات السريعة في التكنولوجيا من الفجوة بين الأجيال إلى حد كبير. ففي الماضي، كانت الفروقات بين الأجيال تستغرق عقودًا حتى تتضح، أما في عصرنا الحالي فقد تقلّصت هذه الفترة إلى بضعة سنوات فقط. ويتجلى حجم هذه الفجوة في ردود أفعال الناس تجاه هذا التغيير.

فمثلاً، يجد الأشخاص الذين يعيشون بعيداً عن التكنولوجيا هذه التطورات معقدة وغير مفهومة للغاية، في حين أن الذين يتعاملون مع التكنولوجيا بارتياح يرونها مفيدة من جميع النواحي. وتظهر آثار هذه الاختلافات في وجهات النظر لدى جميع فئات المجتمع. ومثلما هو الحال في كل موضوع، هناك دائماً حدّان متطرفان في التعامل مع هذه القضية: الإفراط والتفريط. ومن المهم ألا نغفل عن الخط الوسطي المعتدل الذي يمثل الحقيقة.

على مر التاريخ، كان التطور دائماً مستمراً. ومن الواضح أن هذا التغيير والتطور يسير في اتجاه الرقمنة. هذه العملية الرقمية أثّرت - وستستمر في التأثير - على ثقافتنا وعاداتنا ونظرتنا الدينية أيضاً. ومن المؤكد أن هذه الرقمنة يجب أن تُدمج في حياتنا بطريقة صحية وتخدم الخير. وبعبارة أخرى، لا ينبغي لنا أن ننحرف مع تيار الرقمنة، بل يجب علينا نحن أن ندير هذا التيار. لهذا السبب، ينبغي أن نسعى جاهدين لضمان أن تستمر

أمل سوزجوار

العالم الرقمي يستنزف مستخدميه. فالذي يظن أنه يستخدم هذه المنصات مجانياً يدفع في الواقع ثمنًا باهظًا. يتمثل هذا الثمن في خصوصيته ومعلوماته الشخصية التي تُستخدم لتكوين بيانات تُغذي الذكاء الاصطناعي. فكل حركة، وكل إعجاب، وكل فيديو يُشاهد، بل وحتى خريطة حدقة العين تُسجل وتُضاف إلى قاعدة البيانات. بالنسبة للعالم الرقمي، الإنسان مجرد كائن يمكن تتبعه وقياسه وتسويقه كسلعة. فالمحتوى المجاني لا يوجد؛ بل المستخدم هو الذي يصبح السلعة. إذا كان الشيء مجانياً، فاعلم أن المستخدم نفسه هو السلعة.





العالم

الافتراضي الذي

يتكون من تصورات بعيدة

عن الواقع، وصور وأوهام،

لا يقدم لمستخدميه سوى القليل من

الأمر الحقيقية والدائمة باسم الواقع. فهذا

العالم، الذي يعتمد غالبًا على الإيهام وخداع الأبصار

ونسج الأحلام، يستنزف أعلى ما نملك وهو وقتنا،

ويستبدله بواقعه المزيف، ويقدم بديلًا للحياة الحقيقية،

فيبعد العقول عن الحقائق.

أليس العالم الرقمي هذا مجرد سباق للفوز بالمزيد من

الإعجابات، والمشاهدات، والتفاخر بعدد المتابعين؟

فلا ننس أن حساب العالم الافتراضي سيكون في الحقيقة

واقعيًا لا مفر منه. لقد اكتسب العالم الرقمي بعدًا جديدًا

يُعرف باسم "الواقع الافتراضي"، متجاوزًا بذلك مجرد

التلقي السلبي والتفاعل مع الشاشة، فصار يقدم تجربة

حسية مختلفة تمامًا.

العالم الرقمي يستنزف مستخدميه. فالذي يظن أنه

يستخدم هذه المنصات مجانًا يدفع في الواقع ثمنًا باهظًا.

يتمثل هذا الثمن في خصوصيته ومعلوماته الشخصية

التي تُستخدم لتكوين بيانات تُغذي الذكاء الاصطناعي.

فكل حركة، وكل إعجاب، وكل فيديو يُشاهد، بل وحتى

خريطة حدة العين تُسجل وتُضاف إلى قاعدة البيانات.

بالنسبة للعالم الرقمي، الإنسان مجرد كائن يمكن تتبعه

وقياسه وتسويقه كسلعة. فالمحتوى المجاني لا يوجد؛ بل

المستخدم هو الذي يصبح السلعة. إذا كان الشيء مجانيًا،

فاعلم أن المستخدم نفسه هو السلعة.

في عالم التكنولوجيا، حيث أصبحت الصورة الذهنية

تحل محل الحقيقة، لم يعد أحد يهتم بهاية الحقيقة الفعلية،

بل أصبح الأهم هو كيف يتم تصويرها وإدراكها. في هذا

العالم الذي يسيطر عليه اللذة، والسرعة، والسهولة،

يُغطى الواقع أو يُؤجل بسبب اللهاث وراء كل ما

هو مختلف وحديث. فكل شيء يمكن الوصول إليه

هذه الرقمنة التي بات من المستحيل إيقافها، بما يتوافق مع ثقافتنا وقيمنا الدينية والأخلاقية.

قد لا يكون من الممكن مقاومة التغيير والتطور،

لكن يمكننا بالتأكيد إدارة هذا التطور بطريقة صحيحة.

ولتحقيق ذلك، علينا أولاً أن نتقبل التغيير الحاصل،

ثم نعمل على تطوير مهارات إدارة هذا التطور وتزويد

أنفسنا بها.

علينا ألا ننسى أن النبي ﷺ قال: "من استوى يومه فهو

مغبون"، مشيرًا بذلك إلى ضرورة السعي المستمر نحو

النمو والتطور، وأنا جميعًا في رحلة تكاملية لا تتوقف.

علينا ألا نغفل عن حقيقة أنه: "رغم أن التكنولوجيا

والرقمنة تسهّلان أعمالنا، فلا ينبغي أن نفصل عن العالم

الحقيقي..."

فجميع التطورات التكنولوجية الحديثة عززت

قدرات الإنسان ومهاراته. واليوم، تجاوزت مجالات

التواصل والتفاعل في العالم الرقمي هذه الحدود. فبفضل

تقنيات الواقع الافتراضي، يتم تقديم بديل لما هو حقيقي.

التكنولوجيا التي تستهدف تحفيز حواسنا من البصر

والسمع إلى اللمس والتذوق والشم تقدم بديلًا آخر

للحقيقة، مما يؤثر على إدراكنا للحقيقة الواقعية.

إن محاولة إنشاء عالم آخر داخل العالم الذي نعيش

فيه تُبرز بوضوح الحقيقة العظيمة التي يبينها قوله تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ

وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ

نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلَّا لَمَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ [الحديد، ٢٠]

إن العالم الرقمي الذي يتم فيه تزييف كل شيء وإظهار

ما هو غير موجود وكأنه حقيقة، هو بمثابة حقل ألغام

يشكل خطرًا حقيقيًا، حيث يتم استبدال الحقيقة بأوهام

مصطنعة تخفي الواقع خلفها.

الغريب أو غير العادي يحظى بالأولوية بغض النظر عن فحواه. أما الصدق، والحق، والوفاء، فلم يعد لها جمهور يُطالب بها. في هذا العالم الرقمي الذي يتم فيه تحريف كل شيء، لا يمكننا الوثوق بما نراه أو نسمعه. ولا يمكننا العثور على دواء لجروح القلب أو بلسم للروح في هذا الفضاء الافتراضي.

الأخلاق الحسنة ضرورية لتحقيق أعمال صالحة ذات معنى وباقية في هذا العالم القائم على اللهو واللعب. وهذه الضرورة تشمل العالم الرقمي أيضًا. فربنا عز وجل هو رب جميع العوالم. وقواعد الأخلاق الرفيعة، التي علمنا إياها القرآن الكريم ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم تنطبق على العالم الرقمي كذلك. العدل، والابتعاد عن المحرمات، والإكثار من الأعمال الصالحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجنب الاستعراض والتباهي، كلها قيم أخلاقية يجب الالتزام بها في العالم الرقمي أيضًا.

ولأننا نعلم أن لا شيء يضيع في العالم الرقمي، فلا ينبغي لنا التجول في الإنترنت بلا هدف أو غاية، ولا يجب أن نتبع ما لا نملك عنه علمًا. يقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء، ٣٦]

إن أعظم مسؤولية في هذا العالم تقع على عاتق أطراف أصابعنا. فأطراف أصابع الإنسان هي الشاهد الأقرب على رحلتنا الرقمية. لذلك، يجب أن لا نُسبب الأذى لأنفسنا أو للآخرين من خلال ما نفعله بأصابعنا. وقد قال النبي ﷺ:

"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" [البخاري، الإيمان، ٤-٥]

في العالم الرقمي، ينبغي أن نسير بقلوبنا لا بأعيننا فقط. وهذا لا يتحقق إلا عندما لا ينشغل القلب بما لا يعنيه. وهذا هو قمة التقوى. وقد قال رسول الله ﷺ:

"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" [الترمذي، الزهد، ١١]



العالم الرقمي فضاء تُلقى فيه كل أنواع المعلومات، ومعظمها غير حقيقي، ويغلب فيه الظن على الحقيقة. ولا يكفي أن نتجنب قول الكلمات الباطلة أو المشاركة فيها فقط؛ بل الأهم هو أن لا ننقل ما نراه أو نسمعه أو نقرأه دون أن نُعرضه على ميزان الضمير والقلب. وقد قال رسول الله ﷺ:

"كفى بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع" [مسلم، المقدمة، ٥]

إن الله سبحانه وتعالى هو رب جميع المخلوقات، ورب العالمين الذين نعلمهم والذين لا نعلمهم، ورب العالم الافتراضي كذلك. دعاؤنا أن يحمينا الله من فتن الزمان وأن يمنَّ علينا بالإيمان والوعي في كل نفس نتنفسه.

بلمسة، أو سحب، أو تكبير على الشاشة. ولأن الرؤية والظهور هما الأساس في العالم الرقمي، فقد أصبح الوجود والمعنى يُقاسان بعدد الإعجابات والنقرات.

الرأسمال في هذا العالم يعتمد على المعلومات الكاذبة، والمبالغ فيها، والتي لم يتم التحقق من صحتها. فالمحتوى

الاسترجاع: السلوى بالله

﴿الدكتور: مراد قايا﴾

نحن في نهاية المطاف
راجعون إليه. فكما جئنا من
العدم إلى الوجود بأمره،
سنعود إليه في النهاية.
سنحظى بلقائه ونبقى في
حضرة خالدين. بهذه
العقيدة نأمل أن نحصل
على رضا. وأعظم ما
يواسي العبد في هذه
الدنيا التي تمتلئ بالآلام
والمتاعب هو هذا الإيمان.

كل نعمة لها ثمن، وأعظم نعمة هي نعمة الإيمان والإسلام، تلك النعمة التي تُعد مفتاحًا لنعم لا حد لها. وأداء شكر هذه النعمة والنجاح في امتحاناتها ليس بالأمر السهل. وخلال هذه الامتحانات، ينبغي طلب العون من الله بالصبر والصلاة. فهما أول وسيلتين لنيل معونة الله. الصبر هو أساس كل نجاح. فبعد الإيمان، يأتي الصبر كخطوة أولى، وهو أصل الأخلاق، وأساس العلم، وبداية العمل، وباختصار، الصبر هو بداية الحكمة. وبما أن الناس يتطورون تدريجيًا وفقًا لقانون التربية، فإن التعجل واقتقاد الصبر يتعارضان مع الحكمة.

وقد أخبر الله تعالى أنه سيبتلي عباده بالخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات ليختبر من يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا يتبعه، وليكمل نعمته عليهم. قال تعالى:

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) [البقرة، ١٥٥]
وهذا ليزوق العباد شيئًا من هذه المحن في الدنيا، كي يكونوا في الآخرة في مأمن من الخوف والحزن.



الفور. فسأله الصحابة رضي الله عنهم: هل هذه مصيبة يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أصاب المؤمن مما يكره، فهو مصيبة". (الطبراني، المعجم الكبير، ٨، ٢٠٣/٧٨٢٤)

وفي رواية: "كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة" (أبو داود، المراسيل، ٢٩٧)

وفي مرة أخرى، عندما انطفأ مصباح في بيته ليلاً، استرجع رسول الله ﷺ. (ابن السني، عمل اليوم والليلة، ٣١٣) وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أقبل رسول الله ﷺ وقد لدغته شوكة في إبهامه فجعل يسترجع منها ويمسحها، فلما سمعت استرجاعه دنوت منه فنظرت فإذا أثر حقير فضحكت فقلت:

يا رسول الله بأبي أنت وأمي أكل هذا الاسترجاع من أجل هذه الشوكة؟ فتبسم ثم ضرب على منكبي فقال: "يا عائشة إن الله عز وجل إذا أراد أن يجعل الصغير كبيراً جعله وإذا أراد أن يجعل الكبير صغيراً جعله" (السيوطي، الدر المنثور، ١، ٣٨١)

وكان التابعي الجليل سعيد بن المسيب يسترجع إذا فاتته صلاة الجماعة، لأنه كان يرى ذلك مصيبة. وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: "إذا فاتتك صلاة في جماعة فاسترجع فإنها مصيبة" (السيوطي، الدر المنثور، ١، ٣٨١)

يُذكر أن الاسترجاع هو عزاء خاص بأمة محمد ﷺ، حتى إن نبي الله يعقوب ﷺ في محنته العظيمة لم يسترجع. (انظر، الطبراني، المعجم الكبير، ١٢، ٤٠/١٢٤١١)

إن الله تعالى يستر ذنوب عباده الذين يصبرون على البلاء ويسترجعون، ويمنحهم من رحمته أجوراً ونعماً عظيمة لم تُر في الدنيا، ولم تُسمع، ولم تخطر على قلب بشر.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ويُشر الله تعالى عباده الذين يصبرون على هذه الشدائد. وعلامة الصبر هي الاسترجاع؛ أي أن يقول العبد في وقت المصيبة، أو كلما تذكرها بقلبه: "إنا لله وإنا إليه راجعون". فيسلم أمره إلى الله، ويجد السلوى في العودة إليه بفرح اللقاء به.

فنحن ملكٌ لله، وأموالنا وأرواحنا ملكٌ له، وله الحق في التصرف فيها كما يشاء. فلا يجوز الاعتراض على أي قضاء أو تصرف يصدر منه، سواء كان مرّاً أم حلواً. ونحن راضون بقضائه وقدره.

نحن في نهاية المطاف راجعون إليه. فكما جئنا من العدم إلى الوجود بأمره، سنعود إليه في النهاية. سنحظى بلقائه ونبقى في حضرته خالدين. بهذه العقيدة نأمل أن نحصل على رضاه. وأعظم ما يواسي العبد في هذه الدنيا التي تمتلئ بالآلام والمتاعب هو هذا الإيمان. وكما قال الإمام الكبير المفسر محمد حمدي يازر رحمه الله:

"لا توجد لذة ولا عزاء يمكن أن يعادل لذة الانتماء إلى الله والشعور بالعودة إليه. ولا توجد نعمة أو رفعة يمكن تصورها تفوق نعمة لقاء الله. ولهذا، لا توجد خسارة، ولا ألم، ولا مصيبة يمكن أن تبقى دون عزاء أو تُنسى إذا استشعر الإنسان هذا اللقاء المنتظر".

ولا يشترط أن تحل بنا مصيبة عظيمة حتى نسترجع ونجد السلوى بالله. فقد ورد أن يوماً انقطع شراك نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاسترجع على

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿البقرة، ١٥٦-١٥٧﴾ أفأستكين لها بعد هذا؟ (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧/٢٤٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها قال عباد قدم عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها". (ابن حنبل، مسند، ٣/٢٥٦-٢٥٧/١٧٣٤)

وقال عليه الصلاة والسلام:

"ما من نعمة وإن تقادم عهدها فيجدها العبد بالحمد إلا جدد الله تعالى له ثواباً، وما من مصيبة وإن تقادم عهدها فيجدها لها العبد الاسترجاع إلا جدد الله له ثوابها وأجرها". (الترمذي، نوادر الأصول، ٢/٢٠٣)

فكل نعمة ومصيبة هي فرصة لنا، يمكننا استغلالها مراراً وتكراراً. أما الذين يضيِّعون هذه الفرصة، فقد وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:

"إن أهل المصيبة لينزل بهم فيجزعون وتسوء رعتهم، فيمر بهم مار من الناس، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فيكون أعظم أجراً من أهلها". (ابن المبارك، الزهد، ٢/٢٨)

إن الصبر على البلاء والمحن هو وسيلة لتكفير الذنوب وقبول التوبة وتعويض السيئات بالحسنات. وعلى المؤمنين أن يستعينوا بالله بالصبر والصلاة، ليصلوا في النهاية إلى مقامي "راضية مرضية".

"من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتيه، وأحسن عقباه، وجعل له خلفاً صالحاً يرصاه". (الطبراني، المعجم الكبير، ١٢، ٢٥٥/١٣٠٢٧)

وعن أم سلمة قالت أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله قولاً فسررت به قال:

"لا تصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبتيه ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها إلا فعل ذلك به".

قالت أم سلمة فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرني في مصيبتى واخلفني خيراً منه... أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه، رسول الله عليه الصلاة والسلام. (أحمد، مسند، ٤، ٢٧/١٦٣٨٨)

فإذا سلم المؤمن أمره لله، وصبر على المصيبة وقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، كتب

الله له ثلاثة أمور عظيمة: مغفرة من الله، ورحمة واسعة، وهداية إلى الطريق المستقيم.

مات عبد الله بن مطرف، فخرج أبوه مطرف على قومه وهو مترجل في ثياب حسنة، فغضبوا وقالوا: يا أبا عبد الله، يموت عبد الله بن مطرف فتخرج مدهناً في ثيابك هذه؟ قال: فقال مطرف: أفأستكين لها وقد وعدني الله على مصيبتى ثلاث خصال، كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا كلها، قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

"رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ

وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ"



فهذا الدعاء يحمل معانٍ عظيمة:

"يا رب! اجعل خروجي من مكة لمواجهة أعدائك خروج صدق، وأيدني بنصرك، واحفظني برعايتك. وارزقني سلطاناً نصيراً، أي حجة قاطعة تدمغ الباطل وتفضح أعدائي".

إن هذا الدعاء واسع المعاني، فيمكننا أن ندعو به في كل عمل نقوم به. فمعاني الدعاء تتلخص فيما يلي:

"يا رب، اجعلني أدخل كل مكان بصدق، وأخرج منه بصدق. اجعلني عندما أقوم بأي عمل أو أذهب إلى أي مكان أن أكون صادقاً مخلصاً فيه، وأن أتمه وأخرج منه بصدق وإخلاص. وفقني للنجاح في أداء واجباتي الدينية والدعوية بصدق وإخلاص. اجعلني عندما أموت أكون على الحق، وعندما أبعث أعود للحياة بصدق وأمانة. ارزقني يا رب قوة وسلطاناً يعينني على إظهار الحق وإزهاق الباطل، حتى يغلب المؤمنون وينهزم الكافرون".

في القرآن الكريم، نجد أن الله تعالى يوجه نبيه الكريم بقوله: "قُلْ"، وهي كلمات جميلة يعلمنا الله تعالى بها كيف ندعوه ونتضرع إليه. ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات وندعو بها في مواطنها، ونسأل الله بها. ومن هذه الأدعية المهمة قوله تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء، ٨٠]

لقد أمر الله تعالى نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام بأن يدعو بهذا الدعاء عند فتح مكة، فدخل النبي عليه الصلاة والسلام مكة وهو يتلو هذه الآية ثم قرأ:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ

زَهُوقًا﴾ [الإسراء، ٨١]

وهذا الدعاء يشبه دعاء النبي عليه الصلاة والسلام عند رجوعه من إحدى الغزوات:

"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده".

أما في التفسير الإشاري لهذه الآية، فقد ذكر ابن عجيبة في كتابه (إيقاظ الهمم) أن المعنى الباطني لهذا الدعاء يشير إلى أن العارف يدخل في كل شأن من شؤون حياته بالله وحده، ويخرج منه بالله وحده. وكأن الله سبحانه وتعالى يخاطب عبده العارف قائلاً:

"يا عبدي العارف، قل: يا رب، اجعلني أدخل في أموري كلها بصدق وتوكل عليك وحدك، دون أن أعتمد على قوتي وقدرتي، ووفقني للخروج منها بصدق وإخلاص، وأن أكون متوكلاً عليك وحدك، خاشعاً لك، ومتحلياً بسر الإخلاص". فهذه الدعوة العظيمة تعلمنا أن نتوكل على الله في جميع أمور حياتنا، ونسأله الصدق والإخلاص في كل عمل نقوم به.

ارزقني يا رب سلطاناً من لدنك، برهاناً قوياً من غير واسطة أو سبب. وهذا السلطان هو وارد قوي يأتي من عند الله القهار، فإذا واجهه أي شيء حطمه ودمره، فيظهر بذلك الحق ويزهق الباطل. وهذا السلطان هو أعظم سلطان يمنحه الله سبحانه وتعالى لعبده.

أما كون هذا السلطان "نصيراً" أي معيناً، فالمقصود أن هذا السلطان يعينني على الابتعاد عن عالم الحواس وعن رؤية ما سوى الله. وبذلك أرى مولاها -أي الحواس وما سواها- فأبتعد عنها. فلا يعينني ذلك السلطان على رؤية الأوهام والحواس وما هو غير الله سبحانه وتعالى.

كذلك، يعينني ذلك السلطان على رؤية مساوئ نفسي، حتى أرى قبحها وأبتعد عنها. وعندما أبتعد

عن تلك المساوئ، فإنني أرى ربها وليس تلك المساوئ نفسها. إن المعونة ضد شيء تعني التمكن من التغلب عليه، بحيث يُهزم ذلك الشيء ويزول. ورؤية النفس كأنها عدو يحاربك، يمنعك من رؤية ربك. وعندما يعينك الله عليها، فإنك تتغلب عليها وتبعدها عنك. وبهذا تتمكن من رؤية محبوبك (الله سبحانه وتعالى). وعندما تزول رؤية النفس، تزول معها رؤية ما تهمس به النفس من مشاعر وأوهام كاملاً. وهكذا ينقذ الله عبده من دائرة الحواس. فإذا خرجت من دائرة النفس والحواس، وصلت إلى ساحة معاني واسعة وآفاق مشاهدة الحق.

وهذا ما نسميه "الولادة الثانية". عندما يُولد الإنسان أول مرة من بطن أمه، يصبح أسيراً للبيئة التي نشأ فيها، وعبداً لهوى نفسه. وتسيطر عليه شهواته فتبتله تماماً. فيظل حبساً في سجن الأمور التي تحيط بجسده، غارقاً في عالم الحواس والأوهام. ولكن إذا اجتهد الإنسان وتجاوز دائرة الحواس، وقطع ارتباطاته بها، وخرج من بطن شهوة نفسه، فإن روحه تخترق جدار الوجود، وتصل إلى حضرة خالق ذلك الوجود.

وهذا ما نسميه "الولادة الثانية". عندما يُولد الإنسان أول مرة من بطن أمه، يصبح أسيراً للبيئة التي نشأ فيها، وعبداً لهوى نفسه. وتسيطر عليه شهواته فتبتله تماماً. فيظل حبساً في سجن الأمور التي تحيط بجسده، غارقاً في عالم الحواس والأوهام. ولكن إذا اجتهد الإنسان وتجاوز دائرة الحواس، وقطع ارتباطاته بها، وخرج من بطن شهوة نفسه، فإن روحه تخترق جدار الوجود، وتصل إلى حضرة خالق ذلك الوجود. وهذا يتحقق ميلاده الثاني. وهذا الميلاد الثاني لا يعقبه فناء ولا موت أبداً.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت، ٥٧]

وكذلك يشير سيدنا عيسى عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله: "من لم يولد مرتين فليس منا". [ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، ٥٥٧-٥٦٠].



من دروس
الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو

الموت لا يُخيف المؤمن

ويجتنب كل ما نهى عنه. أما من يقضي وقته في الغفلة ولا يهتم بالعبادة والطاعة، فلا يُعد عبداً حقيقياً لله. بعض الناس يجعلون المال والممتلكات زينتهم الكبرى، فهم في الحقيقة عبيد للمال. وقد قال رسول الله ﷺ: "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ".

ويقول الله تعالى:
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء، ٣١]

كانت زوجة أحد الصحابة قد طلبت منه الطلاق، فتأثر الصحابي بشدة حتى إنه فقد وعيه. وعندما كان ينزل على الدرج، تعثر وسقط، مما أدى إلى إصابته. وحين رأت زوجته ذلك، أسرعت إليه نادمة، وطلبت من أحد الرجال مداواة جروحه. ثم اعترفت بأنها إنما طلبت الطلاق ظناً منها أن الله غاضب عليه لأنه لم يُصَبْ بأي مرض منذ مدة طويلة. ولكن عندما رآته يبتلى بهذه المصيبة، أيقنت أن الله يحبه، فندمت على طلبها للطلاق.

إن التسليم لقضاء الله من أروع الصفات، لذا يجب على الإنسان أن يتقبل أفعال أولياء الله بحسن الظن، وإن لم يفهم حقيقتها تماماً.

وهكذا يجب أن يكون المؤمن، لا يرى في أي شيء شراً مطلقاً، بل يبحث عن الخير في كل شيء. فمن اتصف بهذه الصفة في الدنيا، فكأنه يعيش في الجنة!

يقول ربنا ﷻ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف، ١١٠]
أنواع الموت أربعة:

١. الموت الأحمر: وهو مجاهدة النفس والشيطان، والابتعاد عن المحرمات، وكثرة العبادة والطاعة.

٢. الموت الأسود: وهو الصبر والتحمل على ما يلاقه الإنسان من الدم والإيذاء والافتراء من المنكرين والمخالفين.

٣. الموت الأخضر: وهو الرضا بالابتلاءات والمصائب التي تنزل على الإنسان.

٤. الموت الأبيض: وهو تحمل الجوع وعدم الشكوى.
يُروى أن الإمام الغزالي رحمه الله



كان طريق الفراش بسبب مرضه، فجاءه بعض الناس واقترحوا عليه أن يخرج معهم إلى بستان قريب ليتنفس الهواء. فخرج معهم، وعندما رأى البستان الجميل، تعجّب كيف أنه كان قريباً من منزله لكنه لم يكن يعلم بوجوده. وفي هذه الأثناء، سمع نداءات وبكاء من منزله، وعلم أن هناك جنازة تُشيع من بيته. بعد ذلك، عندما أراد رفاقه الذهاب، أراد الإمام الغزالي الذهاب معهم، فقالوا له: "أنت ستبقى هنا، لقد مت". وهكذا، فالموت للعشاق هو مجرد انتقال من بيت إلى بستان.

ليس كل الناس عبداً لله، بل هم مجرد مخلوقات له. أما العبد الحقيقي فهو من يؤدي أوامر الله تماماً،

المخلصون في محبة الله

فقال له: أبشر، ثم أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهمهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرعون، ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقيل: من هؤلاء يا رسول الله فقال؟ هم المتحابون في الله تعالى.

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: عندما يعرف العبد ربه حق المعرفة، يسقط من قلبه حب الناس، كما تسقط الأوراق اليابسة من الشجر. فلا يبقى في قلبه إلا الله وحده، فيصبح هذا الشخص كفيلاً وأصمً عن البشر، لا يراهم ولا يسمع كلامهم، بل هو منصرف تماماً إلى الله.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكناًفاً



الذين يألفون ويؤلفون".

وهنا تكمن دقة المعنى، وهي أن من يختار العزلة والبعد عن الناس لأجل الله، لا ينبغي أن يفقد روح الألفة والتعامل الحسن مع الآخرين. فالنبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى أن هذه الصفة خلقية فطرية، ولا بد أن تظل قائمة في الإنسان، سواء كان منعزلاً للعبادة أم مندمجاً في المجتمع. وأكثر الناس تحقيقاً لهذه الصفة هم الأنبياء ثم الأولياء، وأعظمهم في الألفة وحسن المعاملة هو بلا شك النبي محمد ﷺ.

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: الزاهدون يأكلون في الجنة، والعارفون يأكلون وهم في الدنيا، أما الذين يحبون الله حقاً فلا يأكلون في الدنيا ولا في الآخرة، لأن طعامهم وشرابهم هو أنسهم بالله، وقربهم منه، وتأملهم لجماله. هؤلاء باعوا الدنيا مقابل الآخرة، أما الصادقون في محبة الله فقد باعوا الدنيا والآخرة معاً، فهم لا يريدون شيئاً غير الله، ولا يطلبون سواه. وعندما تتم عملية البيع والشراء هذه، يغلب كرم الله عليهم، فيعيد إليهم الدنيا والآخرة كهدية ومنحة منه، ويطلب منهم أن يأخذوها. فيقبلون ذلك رغم استغنائهم عنهما، فقط امتثالاً لأمر الله، وأدباً مع قضائه وقدره، قائلين:

- نحن نقبل هذا، وأنت تعلم، يا رب، ما قصدنا من ورائه. أنت تعلم أننا راضون بك وحدك، وأنت أنت غايتنا وراحتنا، وأنه لا رابط بيننا وبين أي شيء سواك.

نحن راضون بالجوع والعطش والفقر، وبأن نُحتقر ويُستهزأ بنا، وحتى بأن نُلقي على بابك، إن كان ذلك هو رضاك.

وعندما يصلون إلى هذه المرتبة من الرضا والسكينة في حضرة الله، ينظر إليهم الله برحمته، فيرفعهم بعد الذل، ويغنيهم بعد الفقر، ويمنحهم القرب منه في الدنيا والآخرة. هؤلاء قليلون جداً، وهم المرشدون الكاملون الأكمل بين الأولياء.... وقال أبو إدريس الخولاني رحمه الله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: إني أحبك في الله،

من حكم أولياء الله

الشيخ سعدي الشيرازي رحمه الله - ١ -

يقول الشيخ سعدي الشيرازي رحمه الله:

"ينبغي للإنسان أن يكون صاحب معرفة وفضيلة. فإن لم يتحلّ بذلك، وجب أن نطلق على الصور المرسومة بالأصباغ الحمراء والزرقاء على الجدران اسم (إنسان)؛ فما الفرق بين ذلك الإنسان وبين الصور على الجدران إذا خلا من المعرفة، والفضيلة، والرحمة، والكرم، والإحسان؟"

"يا أخي! جسدك من لحم وعظم كالبهائم، لكنك تجد الحياة بروح الفكر. إن كان فكرك كزهرة، فأنت في بستان من الزهور. وإن كان كالشوك، فأنت حطب تحترق في النار."

فالأفكار النفسية والهموم الدنيوية تسقط الإنسان إلى حضيض الحيوانية، بل تدخله في صنف: (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) أي: "بل هم أضل من الأنعام". أما التأملات الروحية والهواجس السامية، فهي التي ترفع الإنسان ليكون أشرف المخلوقات، وتجعله أسمى حتى من الملائكة. مثلاً: هناك بعض الأطباء الذين يُفترض أنهم من أصحاب التعليم العالي (!)، ومع ذلك تسبّبوا في موت أطفال أبرياء في وحدات العناية المركزة بسبب طمعهم بثلاثة قروش! هؤلاء من حيث الظاهر بشر!

كل إنسان يتكوّن من لحم وعظم من حيث البنية المادية. لكن بلوغ شرف وكرامة الإنسانية الحقيقية يرتبط بالإيمان، والأخلاق، والأعمال الصالحة، والفضائل المادية والمعنوية.

فمن حيث الظاهر، العالم والجاهل، العارف والغافل، الظالم والمظلوم كلهم بشر. فمجرد الانتماء للبشرية من حيث الجسد لا يكفي ليكون الإنسان إنساناً بحق. فقيمة الإنسان عند الله تعالى تُحدّد بإيمانه، وتقواه، ومستوى قلبه... وقد وصف حافظ الشيرازي الإنسان بعبارته: "قطرة دم واحدة، ولكن فيها ألف قلق".

فالذي يجعل الإنسان إنساناً هو نوع الهواجس والمخاوف التي يحملها في عالمه الداخلي. ولذلك قال مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله:

السلام الصحارى التي كانت تغرق في الدماء عندما
بعث الله نبيّه عليه الصلاة والسلام رحمةً للعالمين...
وكما قال الشاعر الراحل محمد عاكف:

كان الذل كل نصيب
للضعيف... فاستعاد حياته!
وكان الظلم لا يصدّق
زواله... فمات!

ففضل التبليغ والإرشاد
والتربية والجهاد الذي قام
به رسول الله عليه الصلاة
والسلام طوال ٢٣ عامًا،
انتهى الظلم والوحشية تمامًا.
وأولئك الذين كانوا يئدون
بناتهم بقلوب قُدّت من حجر،
تحوّلوا إلى أصحاب قلوب
رقيقة، وعيون دامعة، يتسابقون
في فعل الخير، وأسسوا حضارة
فريدة من نوعها في التاريخ
البشري: حضارة الفضائل،

حضارة العصر الذهبي، عصر السعادة.

حقًا، إن قلوب الخلفاء الراشدين الأربعة، والخليفة
الأموي عمر بن عبد العزيز، وأولياء الله، والمؤمنين
الصالحين الذين ساروا على نهجهم، كانت بمثابة
مواطن للرحمة. فقد كانوا نجومًا في سماء الفضائل،
تألّقوا بالشفقة، والرحمة، والتضحية، والتواضع،
والصدق، والعدل، والإنصاف، وكتبوا أسماءهم
بحروف من ذهب في صفحات التاريخ الإنساني.

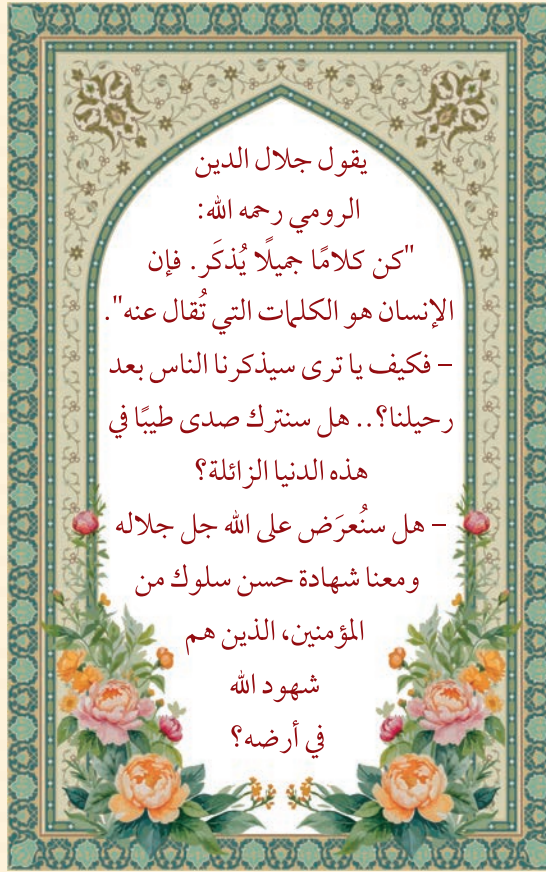
- الذين يغتصبون أراضي المظلومين في فلسطين
منذ قرن بكل أنواع الحيل والظلم والإرهاب والمجازر،
ويحوّلون حياة المؤمنين إلى جحيم، هم كذلك يبدون
بشرًا!

- وكذلك الأب والابن
من عائلة الأسد في سوريا،
الذين مارسوا أقسى أنواع
العذاب والظلم غير الإنساني
على شعبهم طوال ٥٣ سنة
فقط لأجل الاستمرار في
حكمهم، لم يترددوا في ذبح
شعوبهم بوحشية... هم
أيضًا في هيئة بشر! لكنهم في
الحقيقة بعيدون كل البعد عن
الإنسانية الحقّة!...

هؤلاء نماذج من مدى
إمكانية تحوّل الإنسان إلى وحش
في الظلم، وهم من وصمات
العار في جبين الإنسانية! فهم

ينافسون في ظلمهم عاد وثمود، وفرعون ونمرود، وبعد
أن ملؤوا الأرض ظلمًا وفسادًا، التحقوا بزُمرة الطغاة
في مزبلة التاريخ... نسأل الله أن يُنزل عقابه العاجل على
قتلة الأطفال الذين ينشرون الإرهاب في غزة والضفة
الغربية، ويحوّلون بلاد الإسلام إلى بحار من الدم!

إن هؤلاء الظالمين، وإن كانوا في مظهرهم بشرًا،
فهم محرومون من الإنسانية، ومحكوم عليهم أن يُذكروا
في ضمير الأمة جمعاء بلعنة أبدية! وفي المقابل، فقد عمّ



أما في جاهلية عصرنا الحديث - مع الأسف - فقد عادت المظالم، والاحتلالات، والتعذيب، والوحشية إلى الظهور. وأصبحت فلسطين، وفي مقدمتها، وسوريا، والسودان، واليمن، وأراكان، وتركستان الشرقية، وغيرها من المناطق المظلومة، وكأنها أوطان للحداد والحزن.

أما هذا العالم المادي الذي يزعم التحضر والثقافة، فقد أصبح أصمًا تجاه صرخات المظلومين التي تعلقو مستغيثة. إنه يتخلى عن الضمير والرحمة والعدل، ويتنافس مع الضباع في وحشيته من أجل مصالحه. يُستعبد الضعفاء والمساكين والمحرومون في أوطانهم، ويتعرض الملايين من الأبرياء للمجازر أمام أعين العالم. حتى البحر الأبيض المتوسط أصبح مقبرة للاجئين.

من جهة هناك هذا العالم الذي يُسمّى بـ "الحديث والمتحضر"، ومن جهة أخرى، حضارة الإسلام

أصبح هذا العالم المادي الذي يزعم التحضر والثقافة أصمًا تجاه صرخات المظلومين التي تعلقو مستغيثة. إنه يتخلى عن الضمير والرحمة والعدل، ويتنافس مع الضباع في وحشيته من أجل مصالحه. يُستعبد الضعفاء والمساكين والمحرومون في أوطانهم، ويتعرض الملايين من الأبرياء للمجازر أمام أعين العالم. حتى البحر الأبيض المتوسط أصبح مقبرة للاجئين...

من جهة هناك هذا العالم الذي يُسمّى بـ "الحديث والمتحضر"، ومن جهة أخرى، حضارة الإسلام التي نشرت الرحمة والرفقة عبر القرون حتى على الحيوان والنبات والجماد، والتي حافظت على حقوق حتى النملة الصغيرة... فأئى الفريقين يُمثّل الحضارة الحقيقية؟ وأيها يُجسّد الإنسانية الحقّة؟

التي نشرت الرحمة والرفقة عبر القرون حتى على الحيوان والنبات والجماد، والتي حافظت على حقوق حتى النملة الصغيرة... فأئى الفريقين يُمثّل الحضارة الحقيقية؟ وأيها يُجسّد الإنسانية الحقّة؟

وعندما ننظر إلى التاريخ، نرى أن من اصطفّ في صف الحق، ومن وقف في صف الباطل، كانا من حيث المظهر إنسانين. لكن أحدهما في قمة الفضيلة، والآخر في حضيض الظلم. أحدهما مضيء كالملائكة، والآخر مظلم كالشيطان.

في أحد الأيام بينما كنّا عائدتين من بورصا إلى إسطنبول برفقة الشيخ سامي أفندي ووالدنا موسى أفندي، كنا في طريقنا للصعود إلى العبّارة في "يالوفا"، وقد دخلنا في الطابور بسيارتنا. كان الموظف المسؤول عن تنظيم السيارات يشير إلى أماكن الوقوف بنظام. وعندما نظر إلى سيارتنا، وقعت عيناه على الشيخين سامي وموسى الجالسين في المقعد الخلفي. بدا عليه الدهول، فتوقف فجأة واقترّب من نافذة السيارة ليرى بشكل أدق. ويبدو أنه بعد يوم طويل من التعامل مع أناس غافلين ومتعيين، تنهد بعمق وقال: "سبحان الله! ما أغرب هذا العالم! وجوه كوجوه النمرود، ووجوه كوجوه الملائكة..."

ومن هنا، ينبغي لنا أن ننتهى إلى الأثر الذي نتركه في دار الترحال هذه. وعلينا أن نكون من أولئك الذين يُذكرون بالخير، لا باللعن، وأن نسعى جاهدين لتكون من السعداء الذين يُدعّون بالرحمة... فمولانا جلال الدين الرومي رحمه الله يقول:

"كن كلامًا جميلًا يُذكر. فإن الإنسان هو الكلمات التي تُقال عنه".

- فكيف يا ترى سيدكرنا الناس بعد رحيلنا؟

- هل سنترك صدًى طيبًا في هذه الدنيا الزائلة؟

- هل سنُعَرِّض على الله حُجَّالًا ومعنا شهادة حسن

سلوك من المؤمنين، الذين هم شهود الله في أرضه؟



وخلاصة القول، إن أولئك الذين بلغوا حقيقة الإنسانية، هم الذين تركوا خلفهم أبناءً صالحين، وقلوباً أُحييت بالإرشاد والإحسان، وصدقاتٍ جارية، وأعمالاً نافعة. فهؤلاء هم أعلام الإنسانية وأولياء الله الذين هم قدوتنا المثلّية. لأنهم أمضوا حياتهم في الأعمال الصالحة والسلوك القويم، فهم باقون أحياء في القلوب التي كُتِب لها السعادة، حتى بعد وفاتهم.

وقد عبّر مولانا جلال الدين الرومي عن كيفية بلوغهم هذه الحال أجمل تعبير، فقال:

"ما مرآة الوجود؟ مرآة الوجود

هي العدم... (فالماضي الإنساني

أيضاً هو العدم. ألم يخرج

الإنسان من العدم؟)...

أيها العاشق لله! إن لم تكن

أحمقاً، فاذهب إلى حضرة

الله ومعك العدم. (أي

اعترف بأنك لا شيء! فقد

قيل: مَنْ عرف نفسه فقد عرف

ربه)... إن المعرفة الحقيقية (أي أن

يعرف المرء الله عز وجل بقلبه) تكمن في

الانتقال من الكثرة إلى الوحدة، ومن شهوات

النفس المتعددة إلى الواحد الأحد، والاصطباغ

بصبغة الله... فكما أن الغيوم في السماء، ومياه البحار،

لا لون لها، فإن من يمنحها اللون هو شمس السماء.

وأنت كذلك، تخلّص من أهوائك النفسية، وكن من

أهل الفناء والعدم. فإن كل تجلٍّ إلهي يبلغ كماله بعد

الوصول إلى مقام العدم".

وكما أن النهر يفنى عندما يصبُّ في البحر، كذلك

الإنسان، بقدر ما يطهر نفسه ويزكي قلبه ويتخلص

من ألوان الذنوب والمعاصي، ينال صفات الإنسانية

الحقيقية. عندها، يصبح قلبه دار رحمة يجد فيها الراحة

الإنسان والحيوان والنبات وسائر المخلوقات.

طوبى لأولئك الذين تزينوا بالصفات التي يحبها الله، واصطبغوا بصبغة الله، أي تخلّقوا بالأخلاق التي أمر بها الله تعالى، وبلغوا بذلك كمال الإنسانية!

ويقول الشيخ سعدي الشيرازي رحمه الله:

"إن رأيت أعمى يقترب من بئر ولم تصرخ لتحذيره، فأنت مذنب ومرتكب لجرم عظيم".

الحمد لله حمداً لا نهاية له، والشكر له شكراً لا

يُحصى، أن خلقنا من العدم، وفَضَّلنا على كثير

من خلقه، فخلقنا بشراً من بين مخلوقاته

الكثيرة، وجعلنا نولد في بيئة

مسلمة، وشرّفنا بأن نكون من

أمة خير الأنبياء...

لقد جئنا إلى الدنيا بلا

مقابل، لكننا سنذهب

إلى الآخرة بعد دفع

الحساب. فإن لكل نعمة

ثمناً يجب أن يُؤدى. وكما

قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

[التكاثر، ٨]

وكل نعمة يُشكر عليها من جنسها. وأعظم

النعم هي الإسلام، والإيمان، وحُسن الخلق. وشكر

هذه النعم لا يكون إلا بالدعوة إلى الله تعالى، وتحذير

وإرشاد إخواننا من المسلمين الذين يقعون فريسة

لشهواتهم النفسية. فالمؤمن هو من يدرك أن نجاته

مرتبطة بخدمة نجاة الآخرين.

ها هم الصحابة الكرام ﷺ، سافروا إلى الصين

وسمرقند وإفريقيا لهذا الغرض، بل إنَّ في الأمر عبرة

كبيرة، فقد كان عدد الصحابة في حجة الوداع حوالي

مئة وعشرين ألفاً، ولم يُدفن في مكة والمدينة سوى نحو

عشرين ألفاً منهم. أما الباقون، فقد رحلوا إلى مختلف

أنحاء العالم، إلى كل مكان فيه بشر، يدفعهم شكر نعمة

الإيمان التي أنعم الله بها عليهم، وهناك دُفنوا. ويُقال إن في إسطنبول وحدها قرابة ثلاثين قبرًا أو مقامًا لصحابة كرام.... وقال سفيان الثوري رحمه الله:

"ذهابك إلى خراسان لتُبَلِّغ الإسلام خيرٌ لك من أن تقيم في مكة". فبهذا القول أشار إلى عظيم منزلة التبليغ والإرشاد عند الله تعالى.

وكما يجب علينا أن نشعر بالمسؤولية تجاه المظلومين والمحترجين والذين هم في كرب، كذلك ينبغي أن لا نغفل عن مسؤوليتنا تجاه من ضلّوا طريق الهداية والاستقامة، ووقعوا في الخطأ والانحراف.

وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه:

"ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله عز وجل من موعظة يعظ بها قومه فيفترقون قد نفعهم الله بها".

وعليه، فلا ينبغي لنا أن نُهمَل خدمة تبليغ الإسلام، وهداية المسترشدين، أي أولئك الذين يطلبون الإرشاد، إلى الحق والخير، وأن نكون لهم أدلاءً وموجهين روحياً.

وفي أيامنا هذه، وقد أصبحت المجتمعات وكأنّها أرضٌ

يشتل فيها حريق من حيث الإيمان والأخلاق، فإنّ خدمات التبليغ والإرشاد

أصبحت ذات أهمية عظيمة، كمن يُنقذ الناس من نار مشتعلة. ولهذا، فقد أصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اليوم كأنه فرض عين. وإهمال مَنْ هو أهْلُ لهذه الخدمة تجاه هذا الواجب، يُعدُّ جريمة عظيمة... وكلمات أبي هريرة رضي الله عنه في هذا السياق ذات معنى عميق، حيث قال:

"كنا نسمع أن الرجل يتعلّق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول له ما لك إلي وما بيني وبينك

معرفة؟ فيقول كنت تراني على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهاني".

ولهذا، يجب ألا ننسى أننا في يوم القيامة قد نُحاسب على الذين لم نكثر لأمرهم بسبب غفلتنا وإهمالنا، رغم قدرتنا على التدخل... كذلك، لا يجوز لمن هم أهل لخدمات التبليغ والإرشاد أن يصيبهم التعب أو اليأس، أو أن يتوقفوا عن هذه الجهود.

ويجب علينا ألا ننسى ما حصل مع سيدنا يونس عليه السلام، فقد ترك قومه غاضباً ومهموماً، قبل أن يكمل الأربعين يوماً التي أمره الله بها لتبليغهم، حين رأى أنهم لم يؤمنوا حتى اليوم السابع والثلاثين.

ركب سفينة، فحصلت فيها أحداث، وعرف خطأه، وأُلقي في البحر، فابتلعه الحوت. وهناك، في بطن الحوت، تاب واستغفر وسبّح، حتى نال عفو الله ونجاته.

لذلك ينبغي مواصلة خدمات التبليغ والإرشاد بالصبر والأمل. فالله سبحانه وتعالى هو الذي يُقدّر النتائج. وما على العبد إلا أن يؤدي واجبه بصبر وثبات.

وقال الشيخ سعدى رحمه الله: "أمران يدلّان على خفة العقل:

السكوت في موضع الكلام، والكلام في موضع السكوت".

فلنتذكر أن الصمت، كما هو حال الكلام، قد يكون سبباً لمكافأة أو عقاب أخروي. وقد يكون أصعب حساب يوم القيامة على من سكت وبقي بلا رد فعل، رغم قدرته على منع الظلم والباطل. لأننا سنُحاسب ليس فقط على ما فعلناه، بل كذلك على ما كان ينبغي أن نفعله ولم نفعله.

لقد جئنا إلى الدنيا بلا مقابل،
لكننا سنذهب إلى الآخرة بعد دفع
الحساب. فإن لكل نعمة ثمناً يجب أن
يُؤدى. وكل نعمة يُشكر عليها من جنسها.
وأعظم النعم هي الإسلام، والإيمان،
وحُسن الخلق.
وشكر هذه النعم لا يكون إلا بالدعوة إلى الله،
وتحذير وإرشاد إخواننا من المسلمين الذين
يقعون فريسة لشهواتهم النفسية.
فالمؤمن هو من يدرك أن نجاته مرتبطة
بخدمة نجاة الآخرين.

فكما أن الإنسان يُسأل عن كلامه، يُسأل أيضًا عن ما سكت عنه وكان ينبغي أن يتكلم فيه. وكما أن الكلام الخطأ أو اللغو يُحمّل صاحبه مسؤولية في الآخرة، فإن السكوت في موضع وجوب الكلام يُعدُّ كذلك.

وقد قيل: "الساكت عن الحق شيطان أخرس". والرضا بالظلم ظلمٌ أيضًا. فمن يسكت ولا يُظهر ردّه فعله في مواضع سلب الحقوق، يُعتبر شريكًا في الظلم. ومن يرى مقاطعة الظالمين غير ضرورية، ويواصل دعم تجارتهم، فكأنه يسهم في استمرار آلة الظلم، وهذا يُظهر ضعفًا كبيرًا في الإيمان.

وفي الوقت الذي تُشنّ فيه هجمات ثقافية عالمية عبر التلفاز والإنترنت، ويُستهدف ديننا ومقدساتنا ومؤسسة الأسرة وقيمنا الوطنية والمعنوية، فإن عدم رفع الصوت بالشكل الكافي، وعدم إظهار الاعتراض والإنكار ضمن الأصول الشرعية، يُعدُّ من أعظم الأوزار.

ومن لا يُظهر الموقف

الإسلامي الواجب بيده أو بلسانه أو بقلبه تجاه من يمارسون الظلم والباطل في المجتمع، فإنه يمهّد الطريق لفقدان النعم، وظهور البلايا والمصائب. وقد بدأت انحرافات بني إسرائيل حين تخلّوا عن واجب الإنكار والإرشاد خوفًا على مصالحهم الدنيوية... وقد قال رسول الله ﷺ في هذا الشأن: "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقي الرجل، فيقول: يا هذا، اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض" [أبو داود، الملاحم، ١٧/٤٣٣٦]

وكما هو معلوم، في زمن داود عليه السلام، كان هناك أمر إلهي بعدم الصيد يوم السبت، وقد أطاعه بعض الناس. ومع ذلك، كان هناك جماعة لم تلتزم بهذا الأمر، وأخرى لم تعترض عليهم رغم علمها بذلك. بل إن هذه الجماعة الأخيرة كانت تقول لأولئك الصالحين الذين كانوا ينهاون عن المنكر:

"لم تنصحون قومًا سيهلكون؟

لماذا تتعبون أنفسكم؟"

فأجابهم الصالحون قائلين:

"نحن نبلغ لكي لا نكون مسؤولين أمام الله!"

وفي النهاية، رغم أن هؤلاء الذين التزموا بأنفسهم ولم يرتكبوا المعصية، فإنهم لم ينجوا من العذاب الإلهي لأنهم لم يُنكروا على أهل المعصية... وهذا يبيّن لنا أن من الواجب رفع الصوت عند الحاجة لنصرة الحق وتمثيله، وعدم التخاذل بسبب مخاوف دنيوية أو أهواء نفسية. فالتخلي عن هذا الواجب يُعدُّ إثماً عظيمًا.



ومن جهة أخرى، فإن التبليغ الجاهل والإنذار الغافل، والذي يتم دون معرفة بأساليب الحكمة والمنهج الصحيح، قد يؤدي إلى الضرر أكثر من النفع. لذا يجب على كل مسلم أن يكون أولاً على دراية تامة بالثقافة الإسلامية، وأن يعيش وفق هدي القرآن والسنة، ثم يسعى لهداية من حوله إلى هذا الطريق القويم.

نسأل الله أن يجعلنا جميعًا من عباده الذين يُنتفع بأقوالهم وأفعالهم، ومن مفاتيح الخير ومغاليق الشر، ومن الذين يُبلّغون الإسلام ويمثلونه بحياتهم، وأن يجعلنا من شهداء الحق على هذه الأرض.



قال رسول الله ﷺ: "ألا وأنا حبيب الله ولا فخر".

[الترمذي، المناقب، ١/٣٦٦؛ الدارمي، مقدمة، ٨]

اعرف قيمة الوقت

اليوم، مع التطور التكنولوجي، أصبح الإنسان قادرًا على اقتراف المعاصي حتى وهو بين أهله، في ظلمة غرفته، أو أثناء تصفحه لهاتفه، دون أن يراه أحد، ولكنه يغفل عن عين الله التي تراه. وكل ذنب يُرتكب دون توبة يجذب ذنبًا آخر، حتى يُطبع على القلب، فيصبح قاسيًا مظلمًا.

وأوهامها، ووساوسها التي تحاول إبعاده عن الطريق المستقيم. وخارجيًا هناك الانشغالات غير الضرورية التي تعيق الوصول إلى الله تعالى.

نَبَّه رسول الله عليه الصلاة والسلام كأعظم معلم ومرّب أمته إلى هذه العقبات، ويبيّن لهم أفضل السبل لمواجهةها. لأن الإنسان قد يكون غافلاً عن معاصيه أثناء سيره في طريق التقوى.

عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: "لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثورًا"، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قال: ◀

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تقديم ذاته الشريفة أولاً ببيان أنه عبدٌ ورسولٌ لله. ففي السنة السابعة للهجرة، عندما أرسل رسائل الدعوة إلى الإسلام لقادة العالم آنذاك (بيزنطة، ومصر، وفارس)، بدأها جميعًا بعبارة: "من محمد، عبد الله ورسوله، إلى..." لقد كان في جميع جوانب الحياة أعظم قدوة في العبودية لله. تتجلى العبودية الكاملة في مثال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال الامتثال لأوامر الله تعالى كما أمر، والابتعاد عن المحرمات، حتى يبلغ العبد مقام الإحسان، وهو أن يعبد الله كأنه يراه. وفي رحلة العبودية الصادقة، يواجه الإنسان عوائق داخلية وخارجية. داخليًا هناك مطالب النفس غير المشروعة،



"أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها" [ابن ماجه، الزهد، ٢٩].

وهذا تحذير خطير! فاليوم، مع التطور التكنولوجي، أصبح الإنسان قادرًا على اقتراف المعاصي حتى وهو بين أهله، في ظلمة غرفته، أو أثناء تصفحه لهاتفه، دون أن يراه أحد، ولكنه يغفل عن عين الله التي تراه. وكل ذنب يُرتكب دون توبة يجذب ذنبًا آخر، حتى يُطبع على القلب، فيصبح قاسيًا مظلمًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله (كَالْبَلِّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [المطففين، ١٤] [الترمذي، تفسير، ٨٣ / ٣٣٣٤؛ ابن ماجه، الزهد، ٢٩].

يحذرنا النبي ﷺ من التهاون في ضبط النفس، قائلاً: "ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد، وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيمانًا" [البيهقي، شعب الإيمان، ٦ / ٣١٤].

كما حثنا النبي ﷺ على حسن اختيار الرفقة، فقال: "الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر". [الحاكم، ٣ / ٣٤٣] ونهى عن النظر إلى الحرام قائلاً لسيدنا علي عليه السلام: "يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة" [الترمذي، الأدب، ٢٠].

وقال عليه الصلاة والسلام:

"إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله يكتب له بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب" [البخاري، الرقاق].

لقد عاش سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام حياته قبل البعثة وبعدها ممتلئة بكل ما يرضي الله عز وجل. وكان دائم التذكير بأن أعظم كنز للأخرة هو الأنفاس المعدودة التي منحها الله للإنسان.

وسيُسأل العبد عن كيفية قضاء عمره وأين أمضاه، ويؤكد النبي عليه الصلاة والسلام أن من جمال الإسلام أن يترك الإنسان ما لا يعنيه.

وقد جسّد الصالحون الصادقون سنة النبي عليه الصلاة والسلام في حياتهم، وقدموا أروع الأمثلة للأجيال القادمة، باتباعهم لهذا النهج القويم.

ذات يوم، كان هناك رجل صالح اعتاد أن يقرأ جزءًا من القرآن ذهابًا وإيابًا أثناء مروره بالمقبرة بعد صلاة الفجر. وكان يدعو الله أن يُريه الخضر. وفي يوم من الأيام، ظهر له رجل مهلهل الثياب وسار بجانبه، وبدأ يسأله عن أهله وأحواله، حتى وصل إلى نهاية الطريق وعادا معًا. ثم قال له الرجل:

"أنا الخضر الذي كنت تدعو الله أن يريك إياه! ولكنك اليوم أضعت تلاوة جزأين من القرآن بسبب حديثك معي!"

فإن كان لقاء الخضر لا يستحق أن يُضيع المسلم لأجله وقت تلاوة القرآن، فكيف يمكن للإنسان أن يُهدر وقته في أمور لا نفع لها؟

يقول الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو رحمه الله: "إضاعة العمر في أمور وهمية، هَي من أسوأ الأفعال. الوقت كنز، فيجب صرفه في أهم الأمور. اللهم أعنا على ترك ما لا ينفعنا، وسهّل علينا تجنب ما يُلهينا. فاعلموا قيمة الوقت، ولا تضيعوه".

اللهم أعنا على اغتنام أوقاتنا فيما يرضيك، ووقفنا للعمل بما ينفعنا في دنيانا وآخرتنا.

اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم.

أبو طالب وقصيدة اللامية

دعم استراتيجي وإراث أدبي في التاريخ الإسلامي

د. عائشة شيمشك

واجتماعيًا. وخلال هذه الفترة، وقف أبو طالب موقفًا شجاعًا، إذ ضمَّ تحت حمايته جميع أفراد أسرته دون تفرقة بين مسلم ومشرِك، ونظم حالة من التضامن في شعب أبي طالب الذي أصبح ملجأً آمنًا للمسلمين. كان أبو طالب الحامي الأكبر للنبي ﷺ، إذ جمع بني هاشم وبني المطلب في هذا الحلي، باستثناء أبي لهب الذي انحاز إلى صف المشركين. وخلال هذه المحنة، يُروى أن أبا طالب كان يتخذ تدابير خاصة لحماية النبي ﷺ، فكان يغير مكان نومه ليلاً خشية أن يتعرض لمحاولة اغتيال أو اعتداء مفاجئ. هذه الإجراءات تعكس عمق حب أبي طالب لابن أخيه ومدى حرصه على سلامته. كان دور أبي طالب القيادي بالغ الأهمية، فلم يقتصر فقط على حماية أسرته، بل أسهم كذلك في الحفاظ على حياة النبي ﷺ.

قام مشركو قريش بكتابة نص المقاطعة على صحيفة وعلّقوها داخل الكعبة. إلا أن هذه الصحيفة تعرضت لإرادة إلهية، حيث تعرضت أجزاء منها للتلف بفعل السوس باستثناء عبارة "باسمك اللهم". وانتهت المقاطعة بفضل جهود بعض رجالات قريش مثل هشام

من بين العديد من الشخصيات التي تركت بصمتها في التاريخ الإسلامي، يحتل أبو طالب (٥٣٥-٦١٩م) مكانة خاصة بصفته عمّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. كان أبو طالب زعيم بني هاشم من قريش، كما كان الحامي للنبي محمد ﷺ خلال طفولته وشبابه، إذ إن عبد المطلب أوصى بحضانة حفيده محمد صلى الله عليه وسلم ورعايته إلى أبي طالب. وكانت حماية أبي طالب بمثابة درع أمان للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين في بداية الدعوة في مكة. وستناول في هذا المقال دور أبي طالب التاريخي، مع التركيز بشكل خاص على قصيدة اللامية.

الدور المحوري لأبي طالب في حياة النبي ﷺ

كان دعم أبي طالب للنبي ﷺ في أوجهٍ خلال فترة المقاطعة التي فرضها مشركو قريش، إذ سعى المشركون آنذاك إلى وقف انتشار الإسلام بإعلان مقاطعة اقتصادية واجتماعية شاملة استهدفت بني هاشم وبني المطلب، وهما فرعا عبد مناف. وشكّل هذا الحصار مرحلة صعبة في التاريخ الإسلامي، حيث حاصر مشركو قريش المسلمين وآل النبي ﷺ من بني هاشم، ومنعوا التعامل معهم تجاريًا

بن عمرو، ومطعم بن عدي، وغيرهم الذين رفضوا استمرار هذا الظلم، ما أدى إلى إنهاء الحصار الذي دام قرابة ثلاث سنوات.

أثر الحصار الطويل في أبي طالب وأضعف قواه، فلم يمتد وقت طويل حتى توفي بعد ذلك. وشكلت وفاته ضربة موجعة للنبي ﷺ، إذ فقد بوفاته دعامة اجتماعية وحماية قوية كانت تخفف من وطأة اضطهاد المشركين له. ومع رحيله، ازدادت حدة التضييق على النبي ﷺ وأصحابه.

قصيدة اللامية: الدفاع بالشعر

لم يكن أبو طالب مجرد زعيم وحام للنبي ﷺ فحسب، بل كان أيضًا شاعرًا. وقد نظم قصيدة تُعرف باسم "قصيدة اللامية" أو "قصيدة الشعبة"، عبر فيها عن محبته العميقة وولائه الكبير للنبي محمد ﷺ. ويُذكر أن هذه القصيدة كُتبت بهدف الدفاع عن النبي ﷺ في مواجهة المشركين. وقد سُميت بـ"اللامية" لأن أبياتها تنتهي بحرف اللام.

تعد هذه القصيدة وثيقة أدبية مهمة لا تقتصر فقط على دفاع أبي طالب عن النبي ﷺ، بل تُعد أيضًا مصدرًا مهمًا لفهم الديناميكيات الاجتماعية في تاريخ الإسلام. وتضم القصيدة أكثر من مئة بيت، ومن بين أبياتها:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وُدَّ عِنْدَهُمْ

وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

وَقَدْ صَارَ حَوْنًا بِالْعِدَاوَةِ وَالْأَذَى

وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمَزَائِلِ

وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظَنَّةً

يَعْضُونَ غِيظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ

فَهَلْ فَوْقَ هَذَا مِنْ مَعَاذٍ لِعَائِدٍ

وَهَلْ مِنْ مُعِيدٍ يَتَّقِي اللَّهَ عَادِلٍ؟

يُطَاعُ بِنَا الْأَعْدَا وَوُدًّا لَوْ أَنَّنَا

تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ تُرْكٍ وَكَأْبِلِ

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَتْرَكَ مَكَّةَ

وَنَظَنُّنَا إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بَلَابِلِ

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نُبْرَى مُحَمَّدًا

وَلَمَّا نَطَاعُنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ

أَقِيمْ عَلَى نَصْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

أَقَاتِلْ عَنْهُ بِالْقَنَاءِ وَالْقَنَابِلِ

فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِي أُرُومَةٍ

تُقَصَّرُ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ

قام الأديب العربي البوسني علي فهمي جابيتش بشرح هذه القصيدة بشكل مفصل، حيث سلط الضوء على الصعوبات التي واجهها النبي ﷺ في مكة، والدور المحوري الذي قام به أبو طالب خلال هذه المرحلة. ويكشف شرح القصيدة عن كفاح المسلمين في المراحل الأولى للإسلام سياسيًا واجتماعيًا.

وعلى الرغم من أن بعض المصادر تشير إلى أن أبا طالب لم يعلن إسلامه صراحةً، فإن دعمه للنبي ﷺ يُعد تعبيرًا عن التزامه الأخلاقي والعائلي، بصرف النظر عن إيمانه. وبحسب رواية وردت في صحيح البخاري (حديث رقم: ٣٦٧٠)، فإن الله تعالى خفف عذاب أبي طالب بسبب دعمه للنبي ﷺ.

وخلاصة القول، فإن حياة أبي طالب وقصيدة اللامية تقدم دروسًا هامة للمجتمع المعاصر. إن ولاء أبي طالب للنبي ﷺ يبرز أهمية التضامن والقيادة القائمة على العدالة والفضيلة، بصرف النظر عن الاختلافات العقائدية. ولا يمكن إنكار أن الدعم الذي قدمه أبو طالب كان عنصرًا حاسمًا في نجاح الدعوة الإسلامية خلال الفترة المكية. وتثبت قصيدة اللامية أن الشعر لا يقتصر على كونه عملاً أدبيًا فحسب، بل يمكن أن يكون وسيلة للدفاع عن الحق والعدالة.

يبقى أبو طالب واحدًا من أبرز الداعمين الاستراتيجيين في تاريخ الإسلام، حيث تخلد ذكره كرمز للعطاء والولاء. إن سيرته وقصيدة اللامية ليست مجرد تاريخ لفرد، بل هما شهادة على نضال أمة بأكملها من أجل البقاء. وفهم هذا الإرث بعمق يُعد وسيلة ثمينة لبناء جسر متين بين الماضي والحاضر.

ديوان المظالم في الماضي: قصر الدعاوى

﴿أحمد أطاكول﴾

وقد واصل الخلفاء الراشدون هذا النهج، حيث مارسوا وظيفة القضاء وحرصوا على تطبيق العدل. ومن ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث برسالة إلى واليه على الكوفة وقاضيهما أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يوضح له فيها أهمية القضاء والقواعد التي يجب على القاضي الالتزام بها لضمان تحقيق العدالة. وكان عمر رضي الله عنه يعقد ديواناً سنوياً خلال موسم الحج في مكة المكرمة لمراجعة قرارات القضاء، ومنع تنفيذ أحكام الإعدام إلا بعد تصديقه عليها.

وفي العصور التالية، كالأمويين والعباسيين والدولة السلجوقية في الأناضول، استمر العمل بالمنهج القضائي للنبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين. بالإضافة إلى ذلك، أنشئ (ديوان المظالم) كمؤسسة عليا يمارس فيها الخليفة أو السلطان سلطاته القضائية العليا. لم يقتصر دور هذا الديوان على الأمور القضائية فحسب، بل كان ينظر أيضاً في القضايا السياسية والمالية، وكان يُستخدم لضمان الرقابة القضائية على الإدارة.

أما الدولة العثمانية، التي ورثت تقاليد الحكم والعدل الإسلامي، فقد أولت اهتماماً بالغاً بالقضاء، ونظمت الأعمال القضائية بصورة دقيقة. وكما كان الحال في الدول الإسلامية السابقة، فقد كان (ديوان السلطنة) في قصر طوب قابي بمثابة المحكمة العليا، حيث كان يفصل في القضايا المختلفة. وكان القضاة الذين عينهم السلطان يمارسون سلطته القضائية باسمه.

لا شك أن إحدى أهم وظائف الدولة هي منع الظلم وإقامة العدل. والعدل في معناه العام هو الالتزام بالحق والقانون، وإعطاء كل ذي حق حقه، والحكم بالعدل. وقد ذكر الإمام السرخسي رحمه الله أن الحكم بالعدل من أعظم العبادات، ومن أقوى الفرائض بعد الإيمان، وأن الله تعالى أرسل الأنبياء والرسل عليهم السلام لتحقيق هذا الهدف. فقد أمر الله جميع أنبيائه عليهم السلام بالحكم بالحق وفقاً لأحكامه الإلهية، وذلك كما ورد في القرآن الكريم:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء، ١٠٥]

كان النبي صلى الله عليه وسلم في دولة المدينة المنورة رئيساً للدولة، وقائداً للجيش، والمرجع النهائي في الفصل في النزاعات، أي أنه كان القاضي الأعلى للدولة. وكان صلى الله عليه وسلم في بداية الأمر يتولى القضاء بنفسه، ثم مع تزايد الأعمال القضائية، منح بعض الصحابة صلاحية الحكم في النزاعات مع احتفاظه بسلطة مراجعة الأحكام. كما عين القضاة والولاة في الأقاليم الإسلامية بعد اتساع رقعة الفتوحات. وفي بعض الحالات كان يُعرض على النبي صلى الله عليه وسلم الأحكام التي أصدرها القضاة، فيقرها أو يعيد النظر فيها. وعلى الرغم من أن القاعدة العامة في الفقه الإسلامي تنص على أنه "لا يُنقض الاجتهاد بالاجتهاد"، إلا أنه إذا تبين أن الحكم مخالف لأحكام الشريعة، فيجوز لولي الأمر نقضه وإصدار حكم جديد، كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

كان ديوان السلطنة أشبه بمجلس الوزراء اليوم، حيث كان يضم كبار رجال الدولة لمناقشة شؤون الحكم. وفي بداية الأمر، كان السلطان هو الذي يترأس هذا الديوان، ولكن في عهد السلطان محمد الفاتح أصبح الصدر الأعظم هو المسؤول عن ترؤسه. وكان لهذا الديوان وظيفتان قضائيتان: العمل كدرجة أولى من التقاضي في بعض القضايا، ومراجعة الأحكام الصادرة عن القضاة، كهيئة استئناف. وكان بإمكان أي فرد الاعتراض على أحكام القضاة ورفع دعواه مباشرة إلى

ديوان السلطنة. كما كان للديوان صلاحية النظر في القضايا حتى دون طلب من الأطراف المعنية. ومن أبرز المؤسسات المرتبطة بالقضاء في الدولة العثمانية (قصر الدعاوى). وكان هذا القصر مبنى حجريًا مثنى الشكل يقع في الساحة الأولى من قصر طوب قابي، وكان مغطى بقبة مخروطية مكسوة بالرخام. وكانت مهمته تلقي الشكاوى والدعاوى المقدمة من عامة الشعب ونقلها إلى ديوان السلطنة للنظر فيها. وكان يتولى هذه المهمة مسؤول يُدعى (أمين الأوراق) بمساعدة معاونيه، حيث كانوا يجمعون العرائض والشكاوى، ثم يوزعون الأوامر الصادرة عن السلطان بعد صدور الأحكام.

وكان بإمكان أي شخص معترض على حكم قضائي أن يرفع شكواه مباشرة إلى ديوان السلطنة، أو أن يكتب عريضة ويسلمها إلى الكتّاب السريين المصاحبين للسلطان أثناء موكب صلاة الجمعة. وكان هذا الموكب يحضره جمع غفير من الناس، وأحياناً كان من يعجز عن الاقترب من السلطان يرفع فوق رأسه شعلة أو قطعة

حصير ملفوفة ليُلفت الأنظار إلى أنه يحمل عريضة. ومن هنا جاءت العبارة التركية "حرق الحُصير" للدلالة على رفع القضايا إلى مركز الحكم. كما أطلق عليها اسم "الالتماس الناري".

لم يكن تقديم الالتماس الناري مقتصرًا على موكب صلاة الجمعة ولا على الاعتراض على أحكام القضاة فحسب، بل كان من الممكن تقديمه إلى السلطان في أي وقت وأي مكان يصادف وجوده فيه، كما كان يُستخدم للاعتراض على أي نوع من أنواع الظلم.

كان السلطان يقوم بجمع هذه العرائض والتماسات الشكاوى، وعند عودته إلى القصر، كان يراجعها شخصيًا. في أغلب الأحيان، كان يحيلها إلى الوزير الأعظم لمتابعة الأمر، لكنه في بعض الحالات كان يتخذ القرار بنفسه. أما الوزير الأعظم، فكان يتعامل مع هذه القضايا مباشرة، ثم يطلع السلطان على المستجدات بشأنها.

إذا نظرنا إلى نظام مركز التواصل الرئاسي في تركيا الحديثة، الذي يهدف إلى إيصال شكاوى المواطنين مباشرة إلى مسؤولي الدولة، نجد أنه يشبه إلى حد كبير الطرق التي كانت مستخدمة في النظام القضائي الإسلامي والدولة العثمانية، حيث كان يُسمح لعامة الناس بتقديم شكاواهم ورفع قضاياهم مباشرة إلى السلطان.

في الواقع، إن إمكانية وصول شكاوى المواطنين إلى أعلى المستويات في الدولة تُعد من الأمور الجوهرية لتحقيق العدالة. فإذا لم تكن هناك جهة عليا يمكن للشعب تقديم شكاواه إليها في حال وقوع ظلم من قبل أصحاب السلطة، فإن العدل يختفي ويحل محله الظلم.



كان السلطان العثماني سليم الثاني يراقب ديوان السلطنة من وراء حجاب.

كان موكب صلاة الجمعة يحضره جمع غفير من الناس، وأحياناً كان من يعجز عن الاقترب من السلطان يرفع فوق رأسه شعلة أو قطعة حصير ملفوفة ليُلفت الأنظار إلى أنه يحمل عريضة. ومن هنا جاءت العبارة التركية "حرق الحُصير" للدلالة على رفع القضايا إلى مركز الحكم. كما أطلق عليها اسم "الالتماس الناري".

برودة وقت الضحى

"إلهي، أنت مقصودي..." ما أعظمه من دعاء! كل خدمة كانت تقدمها لأسرتها، كانت تُحسب لها حسنات. لكن أحياناً، كانت تشعر بالضيق، فتغضب من الجوارب المتناثرة في الزوايا، ومن عبوات الكريم والشامبو المفتوحة. كانت تتمتع غاضبة: "ينبغي أن يكون لدى الإنسان فطنة!" لكنها قررت أن تحوّل هذه الأزمات إلى فرص، وتذكّرت أن كل خدمة تقدمها لمنزلها لها أجر.

بعد أن أتمت ترتيب المنزل، توضأت من جديد، ونشرت سجادة الصلاة، واستعدت لصلاة الضحى. كانت أمها تحرص على هذه الصلاة، لكنها اعتادت عليها أثناء دراستها في معهد تحفيظ القرآن. بدأت بها متأثرة بأصدقائها، وتحولت إلى عادة لديها.

كانت هناك طالبات مكلفات يمررن على الصفوف أثناء الاستراحة ويقولن: "أيتها الصديقات، من تريد أن تصلي صلاة الضحى فلتتفضل إلى المصلى!" كنّ يصلين ركعتين على الأقل، ثم يقرآن حديثاً قبل أن يعدن إلى صفوفهن. تذكرت تلك الأيام الجميلة وقالت في نفسها: "يا لها من أيام رائعة! لم نكن نعرف التعب أبداً. كان معهدنا بمثابة بيتنا الآمن، الدافئ، والمليء بالمحبة والإخلاص".

ارتدت ملابس الصلاة، ونوت لصلاة الضحى. شعرت بالخفة كالعصفور وهي تؤديها. جاء إليها أبنائها وسألوها: "أمي، لم يُرفع الأذان، وأنتِ تصلين، أي صلاة

استيقظت على صوت الأذان، فقد دخل وقت صلاة الفجر. استعاذت بالله وبدأت باسم الله ثم جلست قليلاً. بدأت يومها بالحمد... فتحت صفحة جديدة في حياتها، فقد وهبها الخالق يوماً جديداً في صحة وعافية.

قرأت الدعاء: "إلهي، أنت مقصودي، ورضاك مطلوبني". عندما كان يبدأ يومها بهذا الدعاء، كانت تشعر أنها تحت مراقبة إلهية دائمة. أليس الأمر كذلك بالفعل؟ فهو أقرب إليه من حبل الوريد. أيقظت زوجها، وربّت فراشه، وأخذت تردد الصلاة على النبي ﷺ.

كانت أستاذتها قد أخبرتها: "بمجرد أن تستيقظي صباحاً، أرسلني صلواتك الطازجة إلى رسول الله ﷺ".

توضأت وأدت صلاتها، وانشغلت بالأذكار حتى طلوع الشمس. وضعت الشاي والبيض على النار، وسخّنت الخبز. ثم نادى على أبنائها قائلة: "بسم الله، لنبدأ يوماً جديداً!"

فكرت كم هو جميل أن تبدأ العائلة يومها معاً على مائدة الإفطار. لم تكن تهمل وجبة الإفطار أبداً. فالبخار المتصاعد من كأس الشاي الدافئ، كان يرافق لحظات الحديث الأولى في الصباح. ودّعت زوجها، وربّت المنزل، ووضعت الغسيل في الغسالة، وأفرغت غسالة الصحون. وبينما كانت تؤدي أعمالها، تذكرت الدعاء الذي قرأته في الصباح:

"إلهي، أنت مقصودي..." ما أعظمه من دعاء!

"إلهي، أنت مقصودي..." ما أعظمه من دعاء! كل خدمة كانت تقدمها لأسرتها، كانت تُحسب لها حسنات. لكن أحياناً، كانت تشعر بالضيق، فتغضب من الجوارب المتناثرة في الزوايا، ومن عبوات الكريم والشامبو المفتوحة. كانت تتمتع غاضبة: "ينبغي أن يكون لدى الإنسان فطنة!" لكنها قررت أن تحول هذه الأزمات إلى فرص، وتذكرت أن كل خدمة تقدمها لمنزلها لها أجر.



فأجابت الأم: "العلاقة كما جاء في الحديث: (يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)" [مسلم].

تفكر ابنها قليلاً ثم قال: "الآن فهمت. عندما تصلين هذه الصلاة كل يوم، تكونين قد أدتِ صدقاتك بسهولة. يا لها من عبادة جميلة! سهلة وفيها أجر عظيم!"

قالت الأم مبتسمة: "ليس فقط أداء الصدقة، بل أضمن بها بركة يومي وأبدأه بوضوء". فأجاب ابنها بحساباته السريعة: "من أي زاوية نظرت، فهي مكسب كبير!"

ضحكوا جميعاً، ثم طلبت الأم من ابنتها أن تقرأ صفحة من كتاب (رياض الصالحين).

بدأت الابنة تقرأ: "في جسم الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً، فمن قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، واستغفر الله، وأزال أذى عن الطريق، وأمر بمعروف، ونهى عن منكر، فقد أبعد نفسه عن النار".

قال الابن متحمساً: "يا له من أمر رائع! سأصلي هذه الصلاة!"...

فقالت الأم: "إذن، بارك الله فيك! ولا تنس حديث رسول الله ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) [مسلم، الصيام، ١٧٧] اجعلوها عادة، ولا تتركوها!"

ابتسمت الأم وحمدت الله، فقد كانت سعيدة بهذا الحديث الثمر مع أبنائها.

هذه؟" فأجابتهم: "إن أذان هذه الصلاة قد أذن به رسول الله ﷺ بنفسه، وقال: (إنها صلاة نافلة، من شاء فليصلها)".

ثم سألتهم: "تعلمتم ذلك في المدرسة. أخبروني، كم عدد العظام في جسم الإنسان؟" فقالت ابنتها: "أذكر أن العدد بضع وثلاثمائة".

أحضر ابنها مجلة علمية من المكتبة وقال: "لقد قرأت ذلك في مجلة علمية، أمي، لكن

كيف انتقلت من الصلاة إلى العظام بهذه السرعة؟ مكتوب هنا أن عدد المفاصل والعظام هو ٣٦٠".

فقالت الأم: "حسنًا... هل يمكنكم التصديق بهذه العظام؟"... سألاها متعجبين: "كيف يعني؟ هل ستصدق بـ ٣٦٠ صدقة؟ وهل هناك صدقة على العظام يا أمي؟"

أومأت الأم برأسها قائلة: "نعم". فقال ابنها متفاجئاً: "لكن كيف؟ حتى لو تبرعت بليرة واحدة، فسيكون المبلغ ٣٦٠ ليرة، وهناك سبعة أيام في الأسبوع، هذا كثير! مصروفي لن يكفي!"

ابتسمت الأم وقالت: "الابتسامة صدقة".

فقالت ابنتها مازحة: "تحلي أن نبسم لـ ٣٦٠ شخصاً في اليوم، ستظل عضلات وجهنا مشدودة على وضعية الضحك طوال اليوم، سيكون مشهداً مضحكاً!"

قال ابنها متأملاً: "لكن كيف يمكننا العثور على ٣٦٠ شخصاً لنحسن إليهم، أو ٣٦٠ عمل خير؟ ألا يوجد طريق أسهل؟"... قالت الأم: "نعم، هناك طريقة سهلة".

سألاها بحماس: "ما هي؟ قولي لنا، نحن متشوقون لمعرفة ذلك!"... فأجابت الأم: "صلاة الضحى". فسأل الأبناء متعجبين: "الضحى؟ ما هذا الاسم؟" فقالت الأم: "الوقت الذي نحن فيه الآن يُسمى في العربية وقت الضحى. وهو الوقت المذكور في سورة الضحى".

فسأل ابنها بفضول: "ما علاقة العظام بالصدقة والضحى؟"



الصلاة:

لقاء وجهًا لوجه



يعلّمنا أكثر مما نعلم أنفسنا، ويرانا أكثر مما نرى أنفسنا. والصلاة، لقاء وجهًا لوجه، هي عرض الحال، والتعبير عن الوضع، وتقديم الطلبات، والمناجاة. ولهذا قال النبي ﷺ إن الجميع مكلف بالصلاة، من الطفل الذي يميّز بين يمينه ويساره في سن السابعة، إلى الشيوخ والمرضى. وقال ﷺ ذات مرة: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟"، فقال الصحابة: "بلى يا رسول الله"، فقال: "إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط" [مسلم، الطهارة، ٤١].

بهذا البُشرى، نستمع إلى الأذان في سكون، نردد بعد المؤذن، ثم ندعو لرسول الله ﷺ بالدعاء المأثور بعد الأذان، ونتوجه إلى سجاد الصلاة. أما المساجد والجماعات، فهي فرصة لنيل أجر مضاعف بسبعة وعشرين درجة، كما أنها للمؤمن مصدر فرح وحماسة وسكينة. الاستجابة لهذه الدعوة مع المؤمنين الذين اختارهم الله، وفقًا لسنة النبي ﷺ، وفي طلب مرضاة الله، هو بحد ذاته نعمة عظيمة.

فالحمد لله. ففي كل مرة أدخل فيها مسجدًا، أتذكر هذا الحديث الشريف للنبي ﷺ، فأحمد الله وأصلي على

أصوات الأذان المتتابة في شوارع أسطنبول كانت كالماء البارد على قلبي المشتعل، وكأنها حررت روحي المقيدة بالأغلال. جلست فورًا تحت شجرة الدلب، أغمضت عيني، وبدأت أتنفس في أعماقي نداء الأذان المحمدي. كم كان مؤذنوننا ينادون بأروع نداء إلى العالم، بأن الله تعالى هو الحاكم الأعظم، والأقوى، والأسمى! كانوا يؤكدون بالشهادة أن لا قوة، ولا سلطان، ولا قانون، ولا ملك إلا الله وحده. وكانوا يشهدون أيضًا أن رسول الله ﷺ هو العبد المختار والمرسل من الله تعالى إلينا.

إذن، فلنتوجه إلى الفلاح، إلى الصلاة، إلى الدعاء، إلى الخير، إلى الطهارة، إلى الإصلاح، إلى الحياة، إلى الكمال! كان هناك نداء مبارك إلى مقام كريم، إلى لقاء مباشر، إلى حديث خاص. دعوة من خالق السماوات والأرض، ومن يحيي ويميت، ومن يملك الحساب والميزان. فكيف يُمكن ألا يُستجاب لهذه الدعوة فورًا؟ كيف يمكن أن يُؤجل هذا اللقاء المبارك بسبب مشاغل دنيوية عقيمة، وحسابات صغيرة، وخطط تافهة؟ هل يمكن وضع أي عذر أمام مآدبة ملك الملوك؟ لا مرض، ولا تعب، ولا عمل، ولا شيخوخة، يمكن أن تكون أعذارًا للتخلف عن هذه الدعوة، لأن الداعي هو من

نبيه: "إذا توضأ فأحسن الوضوء. ثم خرج إلى المسجد لا يخرج به إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه خطيئة. فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة". [البخاري، الصلاة، ٨٧].

الصلاة هي دعوة الله تعالى لعبده إلى مقامه. هي لقاء خاص وجهاً لوجه بين العبد وربّه، حيث يكون العبد في حضرته، ما لم يلتفت يمينه أو يسرة. عند التكبير الافتتاحية، عندما يحين دورنا، نبدأ بهدوء بدعاء "سبحانك اللهم وبحمدك"، فنقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعال جدك، ولا إله غيرك" ثم نقرأ الفاتحة، "أم القرآن"، وكأننا نعقد اتفاقاً خاصاً مع ربنا مالك الملك.... وكما ورد في الحديث القدسي، فإن الله يشهد ملائكته عندما يقرأ المصلي أول آيات الفاتحة، قائلاً: "عبي أثنى عليّ، ومجّديني، وفوّض أمره إليّ". وعندما يقرأ العبد آخر آيات الفاتحة، يقول الله: "هذا بيني وبين عبي، ولعبي ما سألت" [انظر: مسلم، الصلاة، ٣٨، ٤٠] وهكذا، تُفتح أبواب خزائن القصر الإلهي. نحن نؤمن، فنال الشرف، ونسلم، فنرتقي.

ثم نتضرع قائلين: "اهدنا الصراط المستقيم، لا تبعدنا عن طريقك، عن نهجك، عن هدايتك، عن رضاك. اجعلنا على طريق الذين أنعمت عليهم، والذين رضيت عنهم، ولا تجعلنا على طريق الذين ضلوا، والذين فقدوا أنفسهم!"، ونردد هذه الدعوات أربعين مرة في اليوم. وعندما تنضم الملائكة إلى هذا الدعاء بـ "آمين"، فإن

سلطان السلاطين، رب العزة، يرد قائلاً: "كل ما طلبه عبي هو له، وكل ما ذكره سيُعطي له!" فنؤمن بذلك بكل يقين.

بعد هذا الحوار المباشر بين العبد وربّه في القيام، تنتقل إلى تلاوة القرآن، الذي هو بيان للبشر، وهداية للمتقين، ورحمة للعالمين. فقد علمنا النبي ﷺ قائلاً:

"أفضل العبادة قراءة القرآن".

"إن البر ليزر على رأس العبد ما دام في صلاته" [الترمذي، فضائل القرآن، ١٧].

وقيل: "من أراد أن يكلمه الله فعليه بالقرآن".

فإن يحفظ الإنسان وحي الله، ويخطه في قلبه، ثم يتلوّه بين يدي مولاه في مقام القرب، هو نعمة يعجز اللسان عن وصفها. فالعباد المتقون والمباركون لا يشبعون من تلاوة القرآن، ومن هذا الحديث الإلهي.

وفي الحديث القدسي، قال الله تعالى: "أنا مع عبي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه" [البخاري، التوحيد، ٤٣]

وفي سورة المائدة، يقول الله تعالى:

﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ [المائدة، ١٢].

ولما سئل النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال:

"الصلاة على وقتها" [البخاري، مواقيت الصلاة، ٥]

ووصف رسول الله ﷺ الصلاة بأنها "قرة عينه"، وعندما كان على فراش الموت، أوصى بها.

عندما كان عبد الله بن رواحة يستعد للخروج في غزوة مؤتة، طلب من النبي صلى الله عليه وسلم نصيحة يتذكرها في كل مكان يذهب إليه، فكانت وصية النبي له أن يكثر من الصلاة والسجود.

أما كعب الأحبار رضي الله عنه، فكان يقول: "لو رأى أحدكم ثواب ركعتين فقط بعينه، لعلم أنهما أعظم من الجبال الشامخة. أما ثواب الصلاة المفروضة، فهو أعظم مما يمكن أن توصف به الكلمات!"

من حكم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام

الصلاة، إذن، هي اللقاء مع رب العالمين، هي المناجاة، هي الحديث الخاص بين العبد ومولاه. فيها تُلقى الأعباء، وتُزاح الهموم، وتُحلّ العقد. فيها يجد العبد علاجه عند الله تعالى، في ركوعه حيث يسبح، وفي سجوده حيث يكون أقرب ما يكون من ربه. وما على العبد إلا أن يجدد عهده، ويستمد القوة والطاقة، ويواصل السعي في طريق الله.

الإنسان والأشياء والمعنى

إن الفكر الإسلامي لا يصور المادة (الأشياء) ضدًا للروح، بل ينظر إليها على أنها وسيلة لاكتساب المعنى من منظور مختلف. فالنعم والثروات المادية ليست عدوًا يسعى الوعي الروحي إلى تدميره، بل هي في الواقع شريك داعم له.



الصناعي كانت في جوهرها مبنية على نهب الموارد المادية التي كانت تمتلكها المجتمعات الشرقية واستغلالها. من ناحية أخرى، يرى ماكس فيبر أن توسع الإنتاج في الاقتصاد الغربي ارتكز على الأخلاق البروتستانتية التي تشجع على تجنب الإنفاق غير الضروري، وزيادة الإنتاج، والابتعاد عن التبذير، والادخار لتحقيق التراكم المالي. وسواء كان أساس الازدهار الغربي قائمًا على الاستعمار، أو على المبادئ الأخلاقية التي تبنتها البروتستانتية، أو على مصادر الطاقة مثل النفط، فإن النظريات التي تفسر المشكلات الاقتصادية التي نشأت في المجال الاقتصادي تتغير بسرعة.

فالسوك الذي كان يُعتبر بالأمس سلوكًا حسنًا وفاضلاً في السياق الاقتصادي قد يُنظر إليه اليوم على

شهد تاريخ الحضارة تحولين كبيرين فيما يتعلق بإنتاج وتوزيع الرفاهية المادية. كان التحول الأول هو الثورة الزراعية، أما التحول الثاني فتمثل في الحركات الصناعية. فمع الثورة الزراعية، تحول شكل الإنتاج نحو الزراعة المستقرة، بينما بدأت حركات التصنيع التي بدأت تنمو اعتبارًا من خمسينيات القرن الثامن عشر في رفع مستوى دخل الفرد في جميع أنحاء العالم. ومع ذلك، فإن هذا التحسن في الرفاهية المادية لم يتوزع بالتساوي في جميع أنحاء العالم، بل ظهرت تفاوتات في الدخل بين الدول والمناطق المختلفة، وهي تفاوتات ما زالت مستمرة حتى اليوم.

ومن المعروف أن الثروة الهائلة التي حققتها المجتمعات الغربية نتيجة لتسارعها



أنه عقبة أمام زيادة القدرة الإنتاجية للاقتصاد. ولهذا يجد الإنسان نفسه في مواجهة مستمرة مع تغيرات في الهوية والعقلية تجاه الأنشطة الاقتصادية المتعلقة بالإنتاج والاستهلاك. فبينما كان الادخار والتوفير يُشجَّعان في الماضي، باتت ديناميكيات العصر الحديث تشجع على الإنفاق الفاخر والمبالغ فيه بهدف التباهي والمظاهر. وأصبح الحفاظ على مستوى الرفاهية المادية التي تحققها الاقتصادات مرهوناً بزيادة الإنفاق الاستهلاكي بمعدلات أعلى من القدرة الإنتاجية للاقتصاد. يمكن تحقيق هذه الزيادة في الإنفاق الاستهلاكي من خلال تعزيز مظاهر الإسراف والاستهلاك المفرط التي يصعب تخيلها.

وقد نشأ هذا التوجه نتيجة لتأثير الرأسمالية، التي وُلدت من "الحلم الأمريكي"، والاشتراكية التي ترمز إلى الامتداد الاقتصادي للجغرافية السوفيتية. وعلى الرغم من اختلاف هذين النظامين في كيفية توزيع فوائد النمو الاقتصادي، فإن كليهما يشترك في تبني فكر كمي (مقداري) يُركز على زيادة الإنتاج بأي ثمن. وعلاوة على ذلك، فإن الرأسمالية والاشتراكية كلاهما يتجاهلان السلطة الإلهية في جذورهما الفلسفية. ففي النظام الرأسمالي يُنظر إلى الفرد على أنه شخص يسعى وراء مصالحه الشخصية، بينما في النظام الاشتراكي يتمركز الجهاز الحزبي أو الدولة ككيان سلطوي في صميم جميع التفاعلات الاقتصادية. إن تصور أن الإنسان قادر على الاعتماد على نفسه يتعارض مع السلطة الإلهية لله تعالى. ولهذا فإن الخلاص من الأزمات والمشاكل الاقتصادية التي تواجه البشرية يكمن في التمسك الوثيق بنظام الاقتصاد الإسلامي. ومن الظلم الادعاء بأن الإسلام ليس لديه ما يقوله عن الاقتصاد.

فالحياة الدنيا هي ساحة اختبار تُعد الإنسان للآخرة، حيث تُكتسب الثروة الروحية اللازمة للنجاح الأبدي. لذلك، فإن السلوكيات المتطرفة التي يتبناها بعض

الأفراد في تعاملهم مع الحياة الدنيا لا تتوافق مع رؤية الإسلام للوجود والمعرفة والقيم. فكما أن الإسلام لا يقبل الانقطاع التام عن الحياة الدنيا، فإنه لا يُشجع على التعلق المفرط بها. ويعكس هذا التوازن حقيقة أن الحياة الدنيا قد خلقت ساحة اختبار للإنسان. إن القواعد التي يشير إليها القرآن الكريم بخصوص تنظيم الحياة الاجتماعية وسير الطبيعة لا تهدف إلى إهمال الموارد المادية، بل تسعى إلى استخدام هذه النعم بما يليق بكرامة الإنسان ووعيه بالعبودية لله. ولن يصبح العالم مكاناً صالحاً للعيش إلا عندما تُوجه هذه المبادرات لتحقيق هذه الغاية. إن الفكر الإسلامي لا يصور المادة (الأشياء) ضدًا للروح، بل ينظر إليها على أنها وسيلة لاكتساب المعنى من منظور مختلف. فالنعم والثروات المادية ليست عدوًا يسعى الوعي الروحي إلى تدميره، بل هي في الواقع شريك داعم له، كما يمكن إثبات ذلك من خلال العديد من الأمثلة.

فالجسد هو الوعاء الذي يحمل الروح. وتلبية الإنسان لمسؤولياته الروحية كالصلاة، والصدقة، والتعاون المالي تعتمد على توظيف الموارد المادية كأدوات. فالمساجد كمكان عبادة تتكون من عناصر مادية لكنها تكتسب كمالها من خلال أهدافها الروحية. واحتضان الحضارة الإسلامية لمساجد ذات طابع جمالي رفيع يجسد شمولية الوعي الروحي تجاه العناصر المادية. ومن السطحية أن يُنظر إلى المبادرات المادية التي تعين الناس على أداء واجبهم في العبادة بطمأنينة على أنها مجرد مادية سطحية. فعند تقييم المادة بطريقة صحيحة، تصبح الحياة المادية جزءاً لا يتجزأ من الحياة الروحية للمجتمع الإسلامي. إن العالم ما هو إلا أحد مظاهر قدرة الله تعالى الذي خلق الأرض للإنس والجن ليعبدوه. ولا يمكن التفكير في مجال وجود الإنسان في هذه الحياة الدنيا بمعزل عن هذه الحقيقة. فالحدود التي تحدد مسار الوجه الاقتصادي للفكر الإسلامي تقوم على هذه العلاقة الوثيقة بين المادة والروح.

حديقة النمو

الحديقة تتأثر دائماً بحركة السماء. وسر نجاحها يكمن في القمر، حيث يرتفع الماء إلى الأغصان في بداية الشهر القمري، ثم ينخفض إلى الجذور في نهايته. لذلك يجب أن تتم الزراعة والتقليم في الأيام الأخيرة من الشهر القمري. كل شيء له توقيته المناسب، وكل توقيت له علمه، وكل علم له عمق. يجب أن تزرع ما دمت قادراً على الزراعة، وتقلّم ما دمت قادراً على التقليم، وتحصد ما دمت قادراً على الحصاد. يجب أن تستغل الوقت لصنع الخير، وتهذيب النفس، وزيادة السجود، وجمع الحسنات، والإكثار من الدعاء.

عندما ترغب في إصلاح مكان ما، فإن أحد الأساليب هو التخلص من المواد القديمة وشراء بديل جديد، لكن هذا لا يعتبر حلاً اقتصادياً، كما أنه لا يطور الذهن والمهارات. أما النهج الأفضل، فهو أن تخطط وتضع تصوراً ذهنياً، ثم تنقله إلى الورق، وتعيد استخدام المواد المتاحة بجهد بسيط وترتيب مدروس. إذا كنت تملك القوة الجسدية والوقت، فعليك أن تختار الخيار الثاني، لأن طعم الخضار والفواكه التي تزرعها بنفسك يكون أكثر لذة، كما أن التربة والحجارة تزداد بركة كلما قمت بحفرها وتنظيفها بالأدعية. على الإنسان ألا يقول: "لقد استحققت هذه النعمة"، إن لم يكن قد بذل جهداً وعانى من أجلها.

تكلمت الحجارة والتربة بلا توقف، ولقّنتنا المياه والبذور دروساً... كل لحظة قضيناها في الحديقة كانت درساً في العلم والتفكير.

لو قلتُ إن الحديقة كانت مدرسة لنا، لما كنت أبالغ، فقد مررنا فيها بتجارب قيّمة لا يمكن إدراكها إلا لمن ينظر بعين التأمل، ويصغي بأذن واعية... بل لو قلت: "لقد أصبحت الحديقة مسجدي!" لما كنت أبالغ، لأن كثيراً من الذكر والتفكير كان يجري هناك باستمرار.



التعلم هو الحياة ذاتها، وما سأكتبه قد يكون مجرد كلمات لمن لم يعيش تجارب مماثلة، لكنني سأشارك الدروس التي تعلمتها، على أمل أن تنفعكم يوماً ما، أو أن تفتح باباً لشعور يوصلكم إلى حسن الخاتمة عند خروج الروح.





موضوع،

ويظنون أنهم

قادرين على كل شيء؟

بإزالة هذه الأزهار المبكرة،

نوجه رسالة لها: "تمهلي، انضجي

أولاً، قوى جذورك وفروعك، ثم

ازهري!" التقليل يبدو أمراً مرهقاً، لكنه في الحقيقة رحمة،

وهو كالجلال الذي يخفي في طياته الجمال، والنتيجة دائماً

هي البركة. إن الذي يربيك في بستان روحك، يقوم

بتقليل نفسك في أيام تهور الشباب، لا ليؤذك، بل

ليحميك من الضياع.



الحديقة تتأثر دائماً بحركة السماء. وسر نجاحها

يكمن في القمر، حيث يرتفع الماء إلى الأغصان في

بداية الشهر القمري، ثم ينخفض إلى الجذور في

نهايته. لذلك يجب أن تتم الزراعة والتقليم في الأيام

الآخيرة من الشهر القمري. كل شيء له توقيته

المناسب، وكل توقيت له علمه، وكل علم له عمق.

يجب أن تزرع ما دمت قادراً على الزراعة، وتقلّم

ما دمت قادراً على التقليم، وتحصد ما دمت قادراً

على الحصاد. يجب أن تستغل الوقت لصنع الخير،

وتهذيب النفس، وزيادة السجود، وجمع الحسنات،

والإكثار من الدعاء.



لكل نوع من الخضروات موسمه الخاص. فبينما

يتم حصاد محصول، يكون الوقت مناسباً لزراعة آخر.

على سبيل المثال، عند قطف الفاصولياء، يكون الوقت

قد حان لبذر البازلاء. بينما ينتهي شيء، يبدأ شيء آخر،

وكأن الخضروات في سباق تسليم الشعلة!



التربة جميلة ومفيدة، لكنها ناقصة من دون السماد. الأرض التي يتقاتل الناس من أجلها تفقد خصوبتها إذا لم تُغذَّ بروث الأبقار والدجاج المجفف تحت الشمس لمدة عام. يا له من أمر عجيب! فالبقرة لا تكتفي بتقديم الحليب واللحم والجلد، بل حتى فضلاتها تصبح مصدرًا للفائدة. تأمل كيف أن هذا الشيء الذي يعتبره البعض قذراً، يتهافت عليه المزارعون في الربيع، وتتغش به جذور الشتلات! انظر بعبرة، كيف أن التربة تعترف بنقصها، وتتعاون مع السماد بصمت وتواضع للحصول على نتيجة أفضل. وتأمل كيف أن بقرة تتغذى على التبن، تكون أكثر نفعاً من كثير من البشر الذين يأكلون اللحم!



إذا نسيت الطماطم، إذا تركت القرع حراً، إذا دعمت الفاصولياء، إذا سقيت الفلفل، إذا غطيت جذور الذرة، إذا ملأت ساق البطاطا، فإنها ستنمو بقوة. الخضروات تشبه البشر، فكل نوع منها له طبيعته وعاداته واحتياجاته الخاصة.



وعلى الرغم من أنك تزرع البذور في نفس التربة، وفي نفس اليوم، وتسقيها بنفس الطريقة، إلا أن بعضها ينمو بحماس، بينما يبقى بعضها الآخر ضعيفاً. البذور تشبه البشر، فبينها فروق كبيرة من حيث الجودة والإنتاجية والقدرة على العطاء. وإذا كانت البذور فاسدة أو معدلة وراثياً، فإن الوقت المبذول في زراعتها يكون هباءً منثوراً، لكن لا يمكنك معرفة جودتها إلا بعد التجربة.



لقد تعلمت أن إزالة الأزهار الأولى للنباتات يزيد من إنتاجيتها لاحقاً. ألا تذكر هذه النباتات بالأشخاص المتسرعين الذين يندفعون إلى كل شيء قبل الأوان؟ هؤلاء الذين يقفزون إلى كل مهمة، ويتحدثون في كل

هل أكرمني ربي الكريم بك مرة
أخرى؟ إذن، سأجعل منك قدوةً
لي، وأزيد من عطائي، لعلني أنضم
إلى قافلة الكرماء والصالحين.



على الإنسان أن يصلي في الحديقة،
وأن يلامس جبهته التربة. يجب
أن يشكر الله على لسان يتذوق
الفواكه والخضروات الشهية،
وأَنْفٍ يستنشِق عيرها، وعينين
تري ألوانها وأشكالها الفريدة. وعليه أن يدرك أن أوراق
النباتات عندما تذبل وتصفّر، ثم تعود إلى التربة، فكَذلك
الإنسان ينتظر لحظة عودته إلى الأرض.



الهدف الأساسي من العمل في الحديقة يجب أن يكون
حماية الجسد والروح اللذين هما أمانة من الله، من الضرر،
والابتعاد عن الشبهات، وتغذية القلب واللسان بالذكر
من خلال الطعام الطيب النظيف والمضمون. كما ينبغي
الحفاظ على حق كل مخلوق في هذه النعمة. فالحديقة ليست
فقط للبشر، بل للذئب، والطيور، والنحل، والحشرات
أيضاً. وإذا كنت تعرف كيف تعطي كل صاحب حق
نصيبه، فإن الحديقة ستمنحك المحصول لعدة أشهر.



الحديقة تشبه درويشاً صالحاً يذكر الله بصمت بينما
يُشبع الجائعين. لا يوجد فيها كذب ولا افتراء. لا تشغل
شتلاتها بالنميمة. لا يسرق الذئب، ولا يخون الطائر.
ولهذا، يشعر الإنسان بالطمأنينة والراحة في كل خطوة
يخطوها فيها. وفي هذا الزمن، أصبح إنشاء الحديقة أمراً
عظيماً، وسبيلاً لرعاية أمانة الجسد والروح. إن الحجارة
والتربة لا تزال تروي دروسها، والماء والبذور لا تزال
تلقن العبر. وكل لحظة تُقضى في الحديقة هي علمٌ وتفكيرٌ.
نسأل الله أن يرزقنا الفهم. آمين.



وبغض النظر عن مدى استعجالك في الزراعة، فلن
تنبت البذور حتى تصبح التربة دافئة بدرجة كافية.
الرغبة في أكل الفاكهة قبل أوانها هو أمر مخالف للطبيعة.
أما تلك الفواكه والخضروات التي تباع في غير موسمها،
فهي نتيجة لهوس البشر بالسرعة والجشع، وهي ليست
حقيقية، بل تم تعديلها بالهرمونات والمواد الكيميائية، مما
جعلها بلا نكهة، بلا رائحة، وتسبب الأمراض.



الماء هو مصدر الحياة في الحديقة، لكنه يمكن أن يكون
سبباً للتعفن والموت أيضاً. لهذا في كل شيء، فإن الري
يحتاج إلى معرفة ووعي وتوازن.



إذا وُجدت الديدان في التربة، فهذا يعني أن هناك قنوات
هوائية. وإذا وُجد الهواء، وُجدت الحياة. والأمر العجيب
هو أن الديدان تتكاثر عبر التغذي على بقايا الخضروات
والفواكه. إن الله الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج
الميت من الحي، لذو قدرة عظيمة! والرماد! نعم، الرماد!
فرماد الخشب دواء عظيم يحمي التربة والزرع ويقويها.



تناول الفاكهة والخضروات مباشرة من الشجرة يشبه
تلقي هدية من يد الله. نظرت إلى شجرة التوت الصغيرة التي
لم تتجاوز عمرها القليل لكنها أثمرت عشرات الثمار، وقلت
لها: "يا نعمة الله! هل أتيتني اليوم مرة أخرى بهدية منه؟

للعلم أدب أيضًا

بينما كان العلماء السابقون يُشترطون قراءة كتب معينة، والاعتماد على أصول ومنهجية محددة، والحصول على الإجازة في العلم لضمان صحة العلم ونقله بشكل صحيح، فقد انحرفت هذه المعايير في عصرنا إلى اتجاه مختلف تمامًا. فمثلاً، أصبح انتشار الشهرة، وكثرة عدد المتابعين، والظهور المتكرر على الشاشات، أو القدرة على إثارة الجدل، معايير كافية لتحديد المستوى العلمي لشخص ما، ولجعله مرجعاً يُلجأ إليه، دون النظر إلى عمق علمه أو صحة معرفته.



ورد في حديث جبريل، بالإضافة إلى مظاهر أخرى مثل سرعة مرور الزمن كجريان الماء، وازدياد التعلق بالمال، ونقصان العلم، وكثرة الفتن. لقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه على أهمية العلم والعلماء، واعتبر هذا الأمر أحد الأعمدة الأساسية في مرحلة آخر الزمان.

وكما يُقسَّم القرآن الكريم الناس إلى مؤمنين وكافرين، وأهل الجنة وأهل النار، وفاسقين ومتقين، فإنه يُقسَّمهم أيضًا وفقًا للعلم إلى عالم وجاهل (مجتهدين ومقلدين). وقد أمر الله تعالى أولئك الذين لا يستطيعون الوصول إلى المعرفة الصحيحة

لقاح القيامة هو من أوائل اللقاحات التي تُعطى للمؤمن عند إيمانه. فهو المرحلة الأولى التي يُعمر فيها المؤمن آخرته أثناء بنائه وإحيائه لدنياه. وهذا يوضح أن أفق المؤمن لا يقتصر على الدنيا وحدها، وأن حياته لا تقتصر على هذه الدنيا فقط. ولهذا السبب، يُلقِّن الإسلام الإنسان ضرورة الاستعداد لرحلة حياة أبدية، ويبيِّن أن السيطرة على هذه الرحلة تتحقق في هذه الدنيا. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند تصوره لعلامات آخر الزمان، إضافة إلى بعض العلامات الكبرى، أموراً يمكن لكل شخص أن يلاحظها. ومن بين هذه الأمور ما

بأن يسألوا أهل العلم وأهل التخصص، حيث قال الله سبحانه وتعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل،

[٤٣]

تأمرنا هذه الآية بمشاورة العلماء، كما أنها تُحمّل العلماء مسؤولية إبلاغ الناس بالمعرفة الصحيحة التي أمر بها الله تعالى وطبقها النبي صلى الله عليه وسلم. ولهذا السبب، كان كثير من الصحابة عندما يُسألون عن مسألة فقهية يفضلون أن يجيب غيرهم حتى لا يتحملوا وزر الاجتهاد الخاطئ.

وفي هذا السياق، عندما سُئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن مسألة، أجاب أولاً بقوله: "لا أدري". ثم قال: "تسألني عن فتوى ثم تقولون يوم القيامة: هذه فتوى ابن عمر، فتلقون المسؤولية عليّ، وكأنكم تجعلوني جسراً تعبرون به إلى النار؟" هذا التصرف يُظهر حساسية العلماء تجاه مسؤوليتهم العلمية.

نحن نعيش في زمن بات الوصول

إلى المعلومات فيه سريعاً، وأصبح من

الشائع استهلاك المعلومات دون استيعابها، أو التعايش معها، أو تحويلها إلى عمل صالح يُفيد الإنسان في آخرته. لم يعد المهم هو العلماء فحسب، بل أصبح الأهم هم الذين يُطبقون ما يعلمون. وهذه الظاهرة انعكست في عصرنا بشكل أكثر خطورة. فبينما كان العلماء السابقون يُشترطون قراءة كتب معينة، والاعتماد على أصول ومنهجية محددة، والحصول على الإجازة في العلم لضمان صحة العلم ونقله بشكل صحيح، فقد انحرفت هذه المعايير في عصرنا إلى اتجاه مختلف تماماً.

فمثلاً، أصبح انتشار الشهرة، وكثرة عدد المتابعين، والظهور المتكرر على الشاشات، أو القدرة على إثارة الجدل، معايير كافية لتحديد المستوى العلمي لشخص ما، ولجعله مرجعاً يُلجأ إليه، دون النظر إلى عمق علمه أو صحة معرفته.

وكما أن لكل شيء أدباً، فإن للعلم أيضاً أدباً، والأدب ليس مجرد التحلي بالأخلاق الحميدة فحسب. بل إن الأدب يعني معرفة القواعد، والضوابط، والمنهجية، والأصول المتعلقة بأي موضوع أو تخصص، سواء كان علماً

شرعياً أو طبيعياً. أي أن يعرف الإنسان قدر نفسه، ويكون لديه الشجاعة لرؤية نفسه في مرآة واقعية بدلاً من مرآة وهمية تظهره أكبر من حجمه الحقيقي. ذات يوم، قيل لأحمد بن حنبل: "ليس لدى معروف الكرخي علم كثير". فأجاب أحمد بن حنبل: "وهل يمكن الوصول إلى العلم بدون الوصول إلى معروف؟" فبهذه العبارة أشار إلى أهمية العلم والمعرفة، كما أبرز مكانة معروف الكرخي.

إن مسؤولية العالم ليست مجرد المعرفة فقط، بل عليه أيضاً معرفة متى يتحدث، ومتى يوضح، وأين يكتب. فعليه أن يستخدم قلمه وكلماته في موضعها المناسب. وفي هذا السياق، يشير الإمام الغزالي إلى أن مسائل علم الكلام ليست من الأمور التي تُقوّي الإيمان، ويؤكد على ضرورة تجنب التحدث علناً في مسائل علم الكلام بطريقة قد تضر بعقيدة الناس. كما يرى الإمام الغزالي أن بعض العلوم ينبغي أن تبقى سرّاً عند صاحبها، ولا تُقشَى لعامة الناس.

عندما سُئل

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن مسألة، أجاب أولاً بقوله: "لا أدري". ثم قال: "تسألني عن فتوى ثم تقولون يوم القيامة: هذه فتوى ابن عمر، فتلقون المسؤولية عليّ، وكأنكم تجعلوني جسراً تعبرون به إلى النار؟" هذا التصرف يُظهر حساسية العلماء تجاه مسؤوليتهم العلمية.

ورغم امتلاك الإمام الغزالي مؤهلات واسعة في الفقه، وأصول الدين، وعلم الكلام، والفلسفة، والمنطق، والتصوف، وتأليفه لكتب مهمة في هذه المجالات، إلا أنه ظل يؤكد على أهمية العلم ومسؤولية العالم حتى آخر لحظات حياته.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك أن آخر كتاب ألفه قبل وفاته بأيام كان بعنوان (إلجام العوام عن علم الكلام)، وهو عنوان يحمل حكمة عميقة.

وفي هذا السياق، ينقل الغزالي عن سهل التستري أن العلم يُقسم إلى ثلاثة أنواع: علوم ظاهرة تُبلَّغ وتُعلَّم للناس، وعلوم باطنية لا تُفصح إلا لأهلها المتخصصين، وعلوم سرية لا يعلمها إلا الله تعالى ورسله، وهي من الأسرار الإلهية التي لا تُكشَف للبشر.

ويشير الإمام الغزالي إلى أن بعض الآيات والأحاديث التي تتعلق بمسائل العقيدة قد تحمل معاني باطنية لا يدركها الجميع. ويرى أن المسائل التي لا يُستحسن الحديث عنها علناً يمكن تصنيفها في خمس نقاط:

* معانٍ دقيقة وعميقة في ذاتها يصعب على كثير من الناس فهمها، مثل موضوع الروح وماهيتها، وهي أمور لا تُناقش بين العامة، بل يُطلع عليها أهل العلم والمعرفة.

* أمور في أصلها يمكن فهمها، لكنها تتضمن معلومات خاصة قد تضر بعقيدة بعض الناس، ولذلك أحجم الأنبياء والصالحون عن الخوض فيها. ومن هذه المسائل موضوع القدر، الذي لا يُنصح بالخوض فيه كثيرًا.

* مسائل يمكن شرحها بوضوح، ولا تسبب أي ضرر في العقيدة أو الإيمان، لكنها تُقدّم غالبًا عن طريق الاستعارة والتلميح لزيادة الفهم.

* مسائل تُفهم في مجملها، لكن لا يُدرك تفصيلها وتفاصيل معانيها إلا بالتجربة والتطبيق العملي.

* أمور تُفهم بلغة الحال، حيث تُعبّر عنها بالكلمات رغم أنها تحمل معانٍ باطنية مختلفة عن ظاهرها. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما ذكره الله تعالى في قوله:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء، ٤٤]

فالتسبيح الذي تقوم به المخلوقات بلغة حالها يعد من أبرز المسائل التي يصعب تفسيرها بوضوح لعامة الناس، لكنه من الموضوعات المهمة التي ينبغي إدراكها بوعي وتبصر.

استراحة

قد شربت حتى رويت..

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا نائم، أتيت بقدر لبن، فشربت حتى إنني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم»

(البخاري، العلم، ٨٢/٢٢)



علاقات القرابة



نورتان سلمى تشفيك أوغلو

الزواج من الأقارب:

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾
[الأحزاب، ٥٠]

كما هو مذكور صراحة في هذه الآية الكريمة، فإن الله تعالى قد أباح للنبي محمد ﷺ الزواج من قريباته.

وكما هو ثابت تاريخياً، فإن النبي ﷺ قد زوّج ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها من ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما تزوّج هو نفسه من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وهي بنت عمته. وهذا يدل على جواز الزواج من الأقارب الذين يجوز الزواج منهم شرعاً... فزواج الأقارب الذين يجوز لهم الزواج شرعاً (أي غير المحرمين) لم يُحرم في ديننا، لكن هذا النوع من الزواج قد يحمل أحياناً بعض المحاذير. فالمشاكل التي قد تحصل في هذا النوع من الزواج قد تؤدي إلى خلافات بين الأقارب وقطع صلة الرحم. كما أن الجينات المشتركة بين الأقارب قد تثير أحياناً بعض الأمراض الوراثية. ومع ذلك، فإن هذا النوع من الأمراض قد يوجد أيضاً بين أناس من عائلات مختلفة لا

تربطهم صلة قرابة. ولو كان الأمر يشكل خطراً كبيراً، لكان الله سبحانه وتعالى فرض عليه قيوداً أشد وأوسع. وخلاصة القول: إن الزواج من الأقارب لا مشكلة فيه شرعاً، ولا هو حرام ولا مكروه، لكن الزواج من نساء أخريات (أي من خارج العائلة) قد تم التشجيع عليه أيضاً، لأنه يؤدي إلى ولادة أجيال جديدة أكثر صحة جسدية وذهنية، ويقرب بين العائلات المختلفة. ويُنشئ أجواء من الألفة والود بين المجتمعات المختلفة. لذلك من الخطأ انتقاد زواج شخصين تربياً في نفس الوسط العائلي منذ سنين. ومن أراد الزواج من قريبة له توافقه ويحبها، فلا يلام ولا يُعاب على ذلك.

إن للزواج تأثيراً كبيراً على حياة الإنسان. والعلاقات التي لا تقوم على الأسس الدينية أو تعارضها تؤدي إلى انهيار المجتمع. فالعلاقات التي لا توافق القرآن والسنة لا يمكن قبولها بمجرد الأعراف والعادات. لأن حياة المسلم يجب أن تكون في إطار رضا الله تعالى، وتقوم بالكامل على القرآن والسنة.

هل يوجد جواز للزواج السري؟

الأشخاص المقبولون على الزواج يجب ألا يعتمدوا على رغباتهم وأهوائهم، بل يجب أن يأخذوا بآراء عائلاتهم،

ويستشيروا الأشخاص المناسبين لاختيار الزوج أو الزوجة الأنسب. ولديمومة الزواج بسعادة وراحة، من المهم للغاية مراعاة الأحكام الدينية.

ففي أيامنا هذه، الكثير من الزيجات التي تبدأ بناءً على الأهواء والرغبات، لا تدوم طويلاً، وفي الغالب تنتهي بالطلاق. ولكي لا نقع في نتائج سلبية تهمز الأفراد والمجتمع، يجب اتخاذ الخطوة الأولى بعناية بالغة.

الخطوة الأولى لتأسيس بيت الزوجية هي النكاح. ومن شروط صحة النكاح وجود شاهدين. فالنكاح الذي يتم دون وجود شهود لا يُعد صحيحاً. والزواج الذي يتم دون شهود يُسمى "الزواج السري". والحكمة من إجراء الزواج بحضور شهود هي إعلان الزواج أمام الناس.

بعد الإيجاب والقبول في الزواج، يُعقد النكاح بحضور الشهود. ومن أجل الاحتفال بهذه المناسبة، وإعلان الزواج للمجتمع، تُقام "الوليمة"، وهي طعام يُقدّم في حفل الزفاف. وهذا يعني أن الزواج المشروع يُعلن مرة أخرى للضيوف الحاضرين ولعموم الناس.

في إعلان النكاح حكم كثيرة، فالزيجات التي تتم في السر وتخفى عن الناس لا تجد قبولاً في المجتمع، وتتسبب في انتشار الشائعات وسوء الظنون. إذ لا يُحسن الناس الظن بمثل هؤلاء الأزواج، ويقع الوالدان تحت طائلة التهم، ويشعرون بالإهانة والخذلان. كما تبدأ مشكلات عديدة فيما يخص الأطفال الذين يُولدون من زواج لم يُعقد بعقد رسمي أو ديني صحيح. ولضمان استقرار المجتمع، وتربية أجيال سليمة، وحماية المرأة من التعرض للظلم المادي أو المعنوي، يجب أن يُعلن الزواج في شكل حفل زفاف ظاهر للناس. وهذا الإعلان يساهم أيضاً في كشف أي زيجات سابقة للطرفين إن وجدت.

وبحسب مذهب الإمام أبي حنيفة، إذا قامت فتاة بالغة بإجراء عقد زواج دون علم والديها، فذلك وإن كان خطأً، إلا أن عقد الزواج يعتبر صحيحاً. لكن في المذاهب الثلاثة الأخرى، فإن مثل هذا الزواج غير صحيح، لأنهم يشترطون إذن الولي في عقد الزواج. وقد قال الله تعالى في

القرآن الكريم: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) [النور، ٣٢]، ولم يقل "فلتزوجوا"، بل قال: "زوجوهم". ولهذا السبب، يرى أئمة المذاهب الأخرى أن وجود الولي شرط، ويستدلون بذلك على عدد كبير من الأدلة والأحاديث. ومن هذه الأحاديث قول النبي ﷺ:

"أبما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها، فنكاحها باطل". [أبو داود، النكاح ١٨-١٩؛ الترمذي، النكاح ١٤].

لا يُشترط إذن الولي في المذهب الحنفي، لكن هناك شرط آخر، وهو: إذا رأى الأبوان أن الزوج غير كفء لابنتهما، فلمهما الحق في فسخ الزواج. لأن الكفاءة في الزواج من حيث الدين، والخلق، والحالة الاجتماعية، هي أساس مهم. فالشباب يتحركون بناءً على عواطفهم، ولا يرون أحياناً أبسط الحقائق. ثم بعد ذلك يندمون كثيراً. بعبارة أخرى، الحنفية لم يتناولوا هذا الموضوع فقط من

جانب حرية الإرادة، بل تابَعوا تطورات الزواج بعد ذلك أيضاً. والخلاصة أنه لا ينبغي للشباب أن يتسرعوا في مسألة الزواج، ويجب

أن ينظروا إلى الزواج بعقل ومنطق أكثر من العاطفة، ويثقوا في آراء وتجارب آبائهم وأمهاتهم، لأن الوالدين هما الأقرب إلى أولادهم، ويعرفونهم أكثر من غيرهم، ويريدون لهم الخير والسعادة أكثر من أي أحد. وحتى لو كان الأبناء يفكرون بشكل مختلف، عليهم أن يتشاوروا مع آبائهم ويحاولوا كسب رضاهم ودعائهم. ويجب أن يُبنى بيت الزوجية الجديد على أسس متينة، وفي إطار من وحدة القلوب. كما يجب على الآباء ألا يرفضوا آراء أبنائهم دون تفكير أو مبرر، بل عليهم أن يوضحوا ما يرونه من أخطاء أو نواقص بصدق وبأسلوب لطيف. فالأسباب التي تُعرض بلغة مناسبة ومقنعة ستؤثر في الطرف الآخر عاجلاً أو آجلاً. وهذا الفهم والأسلوب اللين قد يأتي من الآباء تجاه الأبناء، أو من الأبناء تجاه الآباء. فما دام لا يوجد سوء نية، فسيتم العثور على طريق مشترك بلا شك.





صحة

الأستاذ المساعد د. فرات أردوغان

الدهون

إذا لم تكن لديك حالة طبية خاصة، فإن القمح، والسكر، والدهون مفيدة ولا ينبغي إهمالها في نظامك الغذائي. لا تحرّموا ما أحله الله، ولا تنجرفوا نحو الإفراط أو التفريط. يمكنكم إلقاء اللوم على الآخرين في كل مشاكلكم وخداع أنفسكم، لكن إن لم تعيشوا حياة متزنة، فلن تجدوا الراحة لا في الدنيا ولا في الآخرة.



(الفيتامينات، والمعادن)، فإن الأطعمة التي نستهلكها تنتمي أساسًا إلى واحدة من هذه الفئات الثلاث.

وعند مقارنة إنتاج الطاقة: يوفر كل غرام من الكربوهيدرات والبروتينات حوالي ٤ كيلو كالوري، بينما يوفر كل غرام من الدهون ٩ كيلو كالوري.

ومن المعروف أن الدهون لا تمتزج بالماء، بينما يذوب السكر (الكربوهيدرات) فورًا في السوائل، كما نرى في الشاي. ولو كان جسمنا يخزن الطاقة باستخدام الكربوهيدرات، لكان الحجم الإضافي للسوائل المتراكمة بجانبه أكبر بثلاثة أضعاف من الدهون. بمعنى آخر، المفهوم الذي نعتبره "الكرش" هو في الواقع نعمة تدعونا لشكر الدهون. تخيلوا أن يكون محيط خصركم أكبر بثلاثة أضعاف مع نفس مستوى النهم والكسل...

ولا تقتصر هذه القدرة على توفير الطاقة بحجم صغير وكفاءة عالية على البشر فقط، بل تشمل أيضًا الطيور التي تهاجر بين القارات، والدببة التي تدخل في سبات لأشهر، حيث تعتمد هذه الكائنات على مخزونها الدهني للبقاء على قيد الحياة.

أما البشر، فلا يمكنهم تخزين الدهون بهذه الكميات الكبيرة. إذ تكفي الدهون المخزنة في جسم الإنسان لتلبية الاحتياجات الأساسية لمدة ٤٠ يومًا.

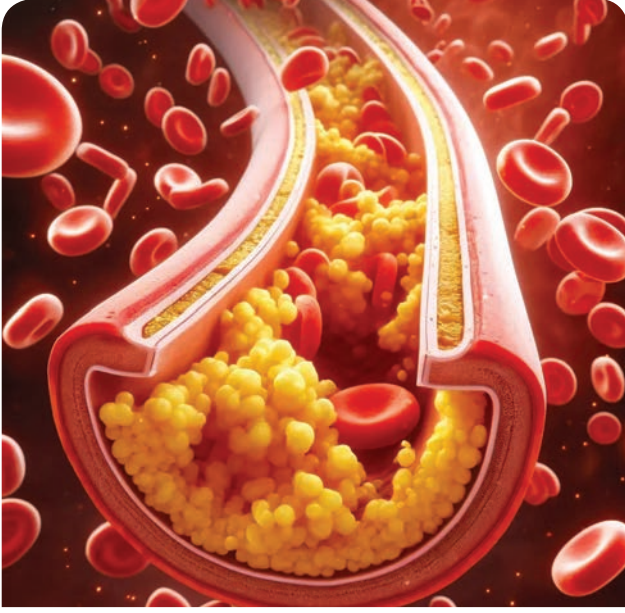
بالنسبة لمن يأكلون الطعام الذي خُلق للإنسان بنفس كمية المخلوقات الأخرى، ثم يستلقون بلا حراك وكأنهم مخلوق مختلف تمامًا، ثم عندما تسوء صحتهم، يحاولون التعافي عبر استهلاك مخلوق آخر، كان هناك "السم الأبيض الثلاثي" قبل الغلوتين. وقبله أيضًا، كانت الدهون قد أصبحت مشهورة لفترة.

تعيش حياتك لإشباع رغباتك اللحظية فقط، لا توجد قواعد، لا توجد قيود. وعندما تمرض وتُطرح في الفراش، تقول: "كل ذلك بسبب الطعام الدهني، وخاصة الدهون الصلبة، إنها سمٌ محض..."

القمح، والسكر، هي من المصادر الغذائية المثالية التي خلقها الله لعباده، فإن الدهون أيضًا كذلك.

فالدهون، إلى جانب البروتينات والكربوهيدرات، تشكل العناصر الثلاثة الرئيسية للتغذية. وهي شكل مثالي لتخزين الطاقة. وإذا استثنينا المغذيات الدقيقة





عند تناول الدهون في النظام الغذائي اليومي، تتحلل أولاً في الأمعاء، ثم بعد تجاوز الحواجز السطحية، تعيد التجمع داخل الجسم. في الكبد وبعض الأنسجة الأخرى تتشكل الدهون الثلاثية. ولكن سواء كانت الدهون الثلاثية والكوليسترول مستمدة من النظام الغذائي أو تم تصنيعها داخل الجسم، فإنها لا تستطيع التنقل في الدم بمفردها، بل تحتاج إلى ناقل يُعرف باسم البروتينات الدهنية (lipoproteins).

من بين المواد الشهيرة التي تراها في التحاليل الطبية، يعمل البروتين الدهني منخفض الكثافة جداً (VLDL) على نقل الدهون من الكبد إلى الأنسجة أثناء فترات الحاجة إلى الطاقة بين الوجبات. حيث يبدأ رحلته على هيئة VLDL، ثم يتحول إلى LDL (الكوليسترول الضار) عند توزيع الدهون واستقلابها. ويمكن أن يؤدي تراكم LDL الزائد في جدران الأوعية الدموية إلى تصلب الشرايين، وهو أمر سيئ. وهنا، يظهر البطل (HDL) الذي يعمل على نقل الدهون من الأنسجة إلى الكبد ليتم التخلص منها.

لنعد إلى موضوعنا الرئيسي: عندما نشعر بالجوع، نبحث عن صديق يساعدنا على البقاء على قيد الحياة. وهذا الصديق في داخلنا هو الدهون الثلاثية (Triglycerides). عندما ينخفض مستوى السكر في الدم، يقوم هرمون الغلوكاغون بتحفيز تحلل الدهون الثلاثية في الأنسجة الدهنية، مما يؤدي إلى إطلاق الأحماض الدهنية، التي يتم نقلها إلى العضلات والكبد وتحويلها إلى طاقة. ولو حاولنا كتابة أسماء المواد المشاركة في هذه العملية، لمألنا ٣-٤ صفحات، لذا لن ندخل في التفاصيل.

ولو نظرنا إلى الأمر من الجانب الآخر: معدتك ممتلئة، بل ممتلئة جداً. تتوقف الإنزيمات التي تحلل الدهون، فتتراكم الدهون والمواد الأخرى التي تتحول إلى دهون في أماكن معينة من الجسم. ويبعد النسيج تحت الجلد مخزناً مهماً، حيث يشكل حوالي ٢٠٪ من الجسم، مع نسبة أعلى قليلاً لدى النساء.

لذلك، بدلاً من القول "يجب أن نأكل أقل"، دعونا نطرحها بطريقة أكثر عملية: "لا نأكل ونحن ممتلئون، وننهض من المائدة قبل أن نشبع تماماً" ولنشكر صاحب هذه الحكمة مرة أخرى.

"الدهون ضرورية جداً لصحتنا"، ولإثبات هذا الادعاء، إليكم بعض النقاط الهامة:

- الفيتامينات A و D و E و K، التي لها وظائف حيوية، هي فيتامينات تذوب في الدهون.
- تحمي الدهون أجسامنا وأعضائنا الداخلية من الصدمات.
- يحتاج الجهاز العصبي والتمثيل الغذائي بشدة إلى الدهون.

ما نحاول تلخيصه هو أنه إذا لم تكن لديك حالة طبية خاصة، فإن القمح، والسكر، والدهون مفيدة ولا ينبغي إهمالها في نظامك الغذائي. لا تحرّموا ما أحله الله، ولا تنجرفوا نحو الإفراط أو التفريط.

يمكنكم إلقاء اللوم على الآخرين في كل مشاكلكم وخداع أنفسكم، لكن إن لم تعيشوا حياة متزنة، فلن تجدوا الراحة لا في الدنيا ولا في الآخرة.

هذا تذكير منا لكم... نتمنى لكم أياماً متوازنة.

طوبى لمن يلبي الدعوة

عمر فاروق ديمراشيك

يجبهم ويختارهم. وهذا ليس بسبب نياتنا أو جهودنا، بل هو محض فضله وإحسانه. ونحن نذكر هذه النعمة أمثالاً لقوله تعالى: "وأما بنعمة ربك فحدث" [الضحى، ١١]. فنحن نحمد الله على حالنا، ونسأله بتدلل وخضوع أن يثبت أقدامنا على الاستقامة، لأن أحدًا لا يمكنه أن يكون مطمئنًا إلى حاله أو مصيره حتى آخر نفس!... الإيمان ليس مضمونًا لأحد، فقد تطفئ عاصفة عاتية شعلة الإيمان التي تضيء بالكاد، والعياذ بالله! وخصوصًا في فتن آخر الزمان... لذلك، يجب أن نحافظ على شعلة إيماننا ونور هدايتنا كما نحافظ على أنفسنا! علينا أن نحفظه داخل مصابيح زجاجية محكمة حتى لا تطفئه أدنى نسمة هواء. فما السبيل إلى ذلك؟... أولًا، تحويل إيماننا من التقليد إلى التحقيق؛ تصحيح إيماننا وفق عقيدة أهل السنة... ثم تثبيته بالأعمال الصالحة والعبادات... وبعد كل ذلك، علينا أن نرفع أيدينا بالدعاء إلى الله... ألا ننسب النعمة لأنفسنا... وألا نحاول أن نُشعر الله أننا قدمنا له جميلًا بسبب هذه النعمة، بل على العكس، أن نظل في تواضع وشكر دائم... ألا ننظر باحتقار إلى من لم يُمنح هذه النعمة... ألا ننسى أن نسعى ليلاً ونهارًا حتى يراها الآخرون أيضًا... وألا نغفل عن أننا سنسأل يومًا ما: ماذا فعلنا في هذا الشأن؟

لذلك، يجب علينا أن نتجدد، ونتجدد، ونُولد من جديد في كل لحظة... ألا نكلّ، وألا نملّ، وألا نحزن... ويتم ذلك من خلال تجديد الإيمان، بتجديد العهد مع الله خمس مرات على الأقل في اليوم، بحضور القلب في الصلاة... تمامًا كما اعتبرها النبي ﷺ "نور عينيه"، وكما أكد عليها مرارًا في "وصيته الأخيرة لأئمة"...

الصلاة، ثم الصلاة، ثم الصلاة... طوبى لمن يلبي الدعوة!

قرأؤنا الكرام، سبق أن كتبنا مقالًا بعنوان "لكل إنسان دعوة!" وقلنا فيه: "كل شيء، والنفس والشيطان، يدعو الإنسان إلى الله وإلى الأهواء النفسية، بينما الله تعالى دعوة أيضًا... الله يدعو الناس إلى الصلاة خمس مرات في اليوم بالأذان. الله يدعو الإنسان إلى التأمل في كل ما يراه في الكون. الله يدعو إلى المغفرة من ذنوبه في شهر رمضان من كل عام. الله يدعو إلى الحج مرة في العمر. الله يدعو إلى تذكره من خلال رؤية الصالحين. الله يدعو إلى التفكير في الآخرة عند حضور الجنازات. الله يدعو إلى تذكر الموت في كل شتاء، وإلى رؤية البعث في كل ربيع. الله يدعو إلى الشكر على نعمه التي لا تُحصى مع كل نفس يتنفسه. نعم، في كل لحظة، هناك من يدعو الإنسان إلى شيء ما؛ ولكن أعظم وأقوى وأشمل وأفضل وأجمل وأصلح وأضمن دعوة، هي دعوة ربنا... إذا، ألم يكن وقت تلبية هذه الدعوة؟"

نعم، باختصار، ربنا يدعونا إلى الإيمان، والهداية، والتقوى، والتوبة، والتطهر، وإلى دخول الجنة، دار السلام، بسعادة واطمئنان مع عباده الصالحين... من يلبي هذه الدعوة يُطلق عليه "أمة الإجابة"، ومن لم يقبلها بعد يُسمّى "أمة الدعوة".

الحمد لله والشكر له بلا نهاية، فقد شرفنا بالإيمان، وجعلنا في زمرة عباده الذين